

التوراة حقا

المسلمون

منفقو

أمام التحدّي العالمي

١٣٤٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٣٩٦ هـ . ١٩٧٦ م

الطبعة الرابعة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا بناية صمدي وصالحة
هاتف : ٢٩٥٥٠١ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب : ٧٤٦٠ برقيا : بيوشران

الدكتور احسان عيسى

'S' ASSOC.

المأمون

أمام التحدي العالمي

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلامة العامة

مقدمة

عرف العالم، منذ الخليقة، مؤامرات كبيرة، ومؤامرات عديدة وكثيرة، وعرف مؤامرات على الأرواح ومؤامرات على الأموال ومؤامرات على الأعراض ومؤامرات على العروش ومؤامرات على البلاد ومؤامرات على المبادي والعقائد وغير ذلك. وعرف مؤامرات يشترك بها أفراد ومؤامرات يشترك بها جماعات ومؤامرات يشترك بها أقوام في نطاق محدود من الأرض ولكنه لم يعرف، حتى اليوم، مؤامرة كالمؤامرة التي يواجهها الإسلام والمسلمون في يومنا هذا ولا سمع بمثله أبداً لامن حيث تشعبها وتغلغلها في كل الأوساط العالمية ولا من حيث دوامها واستمرارها وتصميمها ولا من حيث كثرة المشتركين فيها ومؤيديها ولا من حيث بعد أهدافها ومراميها ولا من حيث اشتغالها وتعميمها على الإسلام والمسلمين جماعات وأفراداً وشعوباً وأقواماً. ولولا أن بناء الإسلام بناء قويم ودعائه متينة وأأسسه راسية فوق صخور لتضعضت أركانه وتلاشى بنيانه

من أثر الضربات التي نزلت به وتنزل كل يوم بلا هوادة ولا رحمة، ولكنه بناء بناء الله أحسن الخالقين فأحكمه وأتقن صنعه ودم أسسه وثبت أركانه فاستطاع أن يصمد أمام كل المؤامرات السابقة وأن يتحمل كل الضربات بشجاعة ورباطة جأش لابل وأن يرد كيد المتآمرين في نحورهم ويدفعهم إلى جحورهم خائبين خاسرين يحرقون الأرم ويمضون على الأنامل من الخيبة والندم .

غير أن المؤامرة التي أعدها أعداء الإسلام وما زالوا يعدونها وينفذون فصولها تختلف عما أعدوه بالأمس كما وكيفاً ونهجاً وتخطيطاً، فهي أشد هولاً وأبعد خطراً وأكثر شراسة وأقظع ضراوة وأعمق لخدأً وأوسع من كل مؤامرة سبقتها أو ينتظر أن تليها ، فهي مؤامرة يصح أن نسميها : (المؤامرة الكبرى الجامعة) لأنها ، في واقع الأمر ، مجموعة مؤامرات في مؤامرة واحدة وذلك لأن كل مؤامرة من مؤامرات الأمس كان يتولى كبرها فريق من الناس أو قوم من الأقوام ضد فريق من المسلمين وتستهدف ناحية واحدة من نواحي الإسلام أو جماعة معينة من جماعاته في بلد معين ، في الشرق أو في الغرب .

وأما مؤامرة اليوم فقد أعدها العالم بأجمعه وهي تستهدف الإسلام والمسلمين أصلاً وفرعاً ، ديناً وكياناً ، تراثاً وتاريخاً ، أينما وجدوا على سطح هذه الكرة الأرضية وتستهدفهم

جماعات وأفراداً عقيدة ومبدأً وداراً ووطناً ورزقاً ومتاعاً ومالاً ونظاماً أو بمعنى آخر إنها تستهدف الإسلام مبدأً وعقيدةً ونظاماً اجتماعياً وتستهدف المسلمين كياناً وأرضاً وثقافة وتراثاً أو بعبارة أفصح وأوضح تستهدف نحو الإسلام والمسلمين أو نحو الإسلام بالقضاء على المسلمين . ولن يكون القضاء على المسلمين قضاءً جسدياً ، لأن هذا غير مستطاع ، بل قضاءً عقدياً بصرفهم عنه إلى الإلحاد أو إلى دين آخر .

ولم يسبق أن استهدفت أية مؤامرة من المؤامرات التي حدثت فوق سطح هذه الأرض كل هذه الأمور مرة واحدة ولا سبق أن كانت أمة من الأمم هدفاً لمثل هذه المؤامرات المجتمعة في مؤامرة واحدة .

ومما يزيد في هذه المؤامرة خطورة كونها مؤامرة عالمية اشترك في تنظيمها وتديرها وتمويلها والاعداد لها والعمل في سبيلها وتوقيتها كل أعداء الإسلام في الشرق والغرب وكل الملحدين والضالين واللا أخلاقيين ووضعوا كل ثقلهم المادي والمعنوي والعلمي والأدبي وجميع إمكاناتهم بأنواعها للقضاء على الإسلام وعلى المسلمين . وإن ما حدث مؤخراً في باكستان وما يجري في الحبشة وفي قبرص وفي تشاد وفي نيجيريا وفي أندونيسيا وفي الفيليبين وفي الهند وفي البلاد الشيوعية كلها إنما هو جزء من هذا المخطط العالمي للقضاء على المسلمين .

فإذا لم يستيقظ المسلمون وينتبهوا إلى ما يراد بهم وما يحاك

لهم في السر والعلن من مؤامرات ويعملوا للوقوف في وجه هذه السياسة العدوانية ودفع أذاها جرفهم تيارها وأفقدتهم قاعدتهم الصلبة التي يرتكزون عليها ومادت بهم الأرض ولن يجدوا لأنفسهم بعد ذلك سنداً يستندون إليه أو ملجأ يلجأون إليه أو صديقاً يعتمدون عليه .

لقد رأيت من آثار هذه المؤامرة الشيء الكثير في كثير من بلدان العالم وأدركت بأن الأخطار المحدقة بنا أخطار عاتية لا يستهان بها فنبهت المسلمين إليها في مناسبات عديدة وأنذرتهم وحذرتهم ولكن صيحاتي تلاشت في خضم اللابالية المضطرب وفي ثنايا الغايات والأغراض وفي وديان الجهل والعمى المسيطران على العالم الإسلامي، كما تلاشت ، من قبل ، صيحات غيري من المنذرين إذ تصور الناس لهول ما ذكرت أن ما أقوله أحلام نائم أو خيالات هائم أو أوهام حالم ، وذلك لأن المسلمين لم يعودوا يعيشون بمقولهم بل أصبحوا يعيشون في أجواء محنومة وبيئة فاسدة تغذيها أفكار مسمومة فرضها عليهم عدوهم ليبلبلهم فأصبحوا لا يرون ولا يسمعون إلا ما يريدون لهم سماعه ولا يصنفون إلا لأقوالهم . والعاقل منهم ، الذي يدرك الحق على وجهه ، يقول : مالي ولكل هذا ؟ فأننا واحد من ملايين المسلمين وللبيت رب يحمي . أو أنهم فهموا معنى الإتكال على أنه الإهمال فتركوا أمورهم وناموا عنها وأسلموا رعايتها إلى أعدائهم فأخذوا بزمامها وصرفوا

المسلمين في الطريق الذي يريدون حتى أصبح المسلم يرى رأي عدوه ويقول بقوله وينفذ أمره من حيث يدري أو لا يدري.

ولورجع المسلمون إلى تاريخهم يقبلون صفحاته ويستذكرون مآسيه لوجدوا بأن سلسلة المؤامرات على الإسلام وعلى المسلمين لم تنقطع في يوم من الايام بل هي متصلة الحلقات محكمة الحبك تتغير ظواهرها وأسبابها ولا تتغير أهدافها ، وكلها ترمي إلى شيء واحد وهو القضاء على الإسلام بالقضاء على مبادئه ونظمه والقضاء على أهله بالابادة ، ما استطاعوا أو بالتشكيك والتضليل حتى يردوهم عن دينهم . وقد استمرت هذه المؤامرات عبر التاريخ بلا هوادة ولا انقطاع وتمثلت بأشكال مختلفة وقوالب متعددة وأشكال متنوعة فكانت تارة حروباً مسلحة وطوراً دسائس سياسية وحيناً فلسفة علمية وعقدية وأخرى مفسد ومساوئ أخلاقية أو مادية أو غير ذلك مما نراه ونشاهده اليوم .

ولم يقف الإسلام ، فيما مضى ، مدافعاً عن عقائده فقط ولا استخذى المسلمون في الانتصار لدينهم ولكيانهم وبلادهم بل كانوا في مد الإسلام الجارف كالبحر الطامي يتجاوزون كل مؤامرة تعترض سبيلهم فيغرقونها في خضم دينهم الزاخر ، فبعد حروب الردة فتح المسلمون سورياً والعراق ومصر والشمال الإفريقي وجزءاً من إيران ، وفي زمن الدولة الأموية تقدم المسلمون حتى أبواب استانبول وتمكنوا من الشمال

الإفريقي كله وعلى السند وساروا حتى حدود الصين ، وبعد قيام الدولة العباسية استولوا على إسبانيا وعلى بلاد تركستان ، وبعد الحروب الصليبية ظهرت الدولة العثمانية بعظمتها وسلطانها الواسع وكانت أعظم امبراطورية عرفها التاريخ وحكمت أكبر جزء من العالم إما مباشرة أو بالتبعية على اعتبار أنها مركز الخلافة الإسلامية . واتفق أن وجد ، في وقت واحد ، ثلاث امبراطوريات إسلامية عظيمة كانت تحكم العالم القديم المعروف كله هي الامبراطورية العثمانية ، التي كانت سيطرتها المباشرة تمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي ومن حدود النمسا إلى وسط القارة الأفريقية ويمتد نفوذها بالتبعية على العالم الإسلامي كله باعتبارها صاحبة الخلافة ، والامبراطورية الثانية هي الامبراطورية المغولية التي كانت تسيطر على شبه القارة الهندية وماجاورها ، والامبراطورية الثالثة امبراطورية الشرق الأقصى وهي إن لم تكن ذات إدارة مركزية إلا أنها كانت تتألف من ممالك وإمارات إسلامية كثيرة قوية وأعني بذلك بلاد أندونيسيا وما يليها .

هذا بالإضافة إلى ممالك وإمارات كثيرة منتشرة في كل بقاع الأرض . أو بمعنى آخر نستطيع أن نقول إن العالم كله كان مسلماً وكان المسيطر الوحيد على الأرض هو الإسلام .

فلما اطمأن المسلمون إلى هذه العظمة وظنوا أنها تدوم لهم من غير أن يعملوا لتدعيمها وتوطيد أركانها واستسلموا للراحة

والدعة ، استيقظ أعداؤهم وسلكوا النهج الذي سلكه المسلمون ، من قبل ، وأدى إلى انتصارهم ، فأخذوا ينتقصون المسلمين جزءاً بعد جزء من بلادهم حتى قضوا على الدولة العثمانية ذاتها جامعة شمل المسلمين ورافعة شأنهم فشتتوا شمل المسلمين وفرقوهم شيعاً وقبائل وأقواماً يضرب بعضهم وجوه البعض الآخر . ولكي يشلوا حركات هذه الأقوام فإنهم حجّزوا أمام كل قوم غفريتاً في قمم متى تحرك المسلمون أطلقوا عليهم غفريتهم ، فعفريت البلاد العربية إسرائيل، وعفريت إيران روسيا والهند، وعفريت تركيا روسيا وبلاد البلقان الشيوعية كلها واليونان، وعفريت أفغانستان الصين وروسيا والهند، وعفريت باكستان الهند ، وجروح الاعتداء الهندوكي الغادر على هذه البلاد الإسلامية ما زالت لم تندمل ، وعفريت أندونيسيا الصين وعفريت جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الشيوعية .

لقد نظم أعداء الاسلام مؤامرتهم على المسلمين تنظيمًا محكمًا وجندوا لها كل قواهم المادية والمعنوية والعلمية والفكرية واستخدموا كل أساليب الدعاية والاعراء وأشعلوا نيران الفتنة في كل أطراف العالم ليشغلوا المسلمين مرة واحدة فلا يستطيع قطر أن يمد يد المعونة لقطر شقيق أو ينحاز إليه إذا وقع في بلاء بل ينشغل بنفسه ، وتمثلت هذه المؤامرة الكبرى بحملات فكرية وعقدية وعلمية تسندها ثورات واضطرابات وحروب

وانقلابات وكلها تهدف إلى شيء واحد وهو القضاء على الإسلام والمسلمين عقيدة وكيانا .

لم يكن أعداء الإسلام يعتقدون أنهم قادرون علي هدم الكيان الاسلامي بين عشية وضحاها بل كانوا يعلمون عظم المهمة التي أخذوا على عاتقهم القيام بها وبعد الهدف الذي يرمون إليه ، وكانوا يدركون بأن البنيان الذي ثبت أمام ضربات العالم المتوالية نحو أربعة عشر قرناً لن يزول بضربة واحدة أو ضربات مهما كانت قوية ومحكمة ، ولكن عزاءهم هو أنهم استطاعوا على طول المدى أن يصدعوا هذا البنيان وأن يفتحوا فيه ثغرات وأن يفرقوا أهله ويشتموا شملهم ويبعثروا قواهم ، ومن ثم تصدع البنيان سهل هدمه بالمثابرة والدأب وإن طال المدى . وعلى هذا الأساس العلمي والمنطقي وواقع المسلمين المتضعف أوقدوا فتيل هذه المؤامرة في أطراف العالم الاسلامي وتقامم الأعداء مهامهم فتولت الهندوكية في شبه القارة الهندية ، يسندها العالمين الشرقي والغربي بما فيه من شيوعية ورأسمالية ، القضاء على أكبر دولة إسلامية ظهرت بعد الدولة العثمانية في هذا القرن وأحيت آمال المسلمين . وقد استطاعت الهند بالاتفاق مع أعداء الاسلام ، شطر باكستان ، منذ ولادتها ، إلى شطرين شرقي وغربي ، وكان هؤلاء الأعداء يظنون بأن باكستان في حالتها هذه لن تستطيع أن تجابه الحياة وأنه لابد لها من أن تستسلم وتنضم إلى الهند لعدم توفر

أسباب الحياة فيها . فلما رأت الهند بأن باكستان قد تخطت كل الصعاب وأنها بذنتها اقتصاداً وثقافة وإدارة وعلماً خلقت لها مشكلة بنغلاديش لكي تضعضعها وكان لها ما أرادت بمساعدة روسيا وأمريكا ووقوف الصين على الحياد ، وإن القضية الهندكية الإسلامية لم تنته بعد .

وتولى الحكام الملحدون صرف المسلمين عن دينهم تحت ستار العلم والتحرر من الخرافات ، وضاعفت الكنيسة جهدها لتنصير المسلمين في بلادهم أو قتلهم وإبادتهم كإحداث في الفيليبين وفي تشاد وفي الحبشة وفي كل البلاد الشيوعية . وقد يعجب المرء إذا علم أنه يوجد في إفريقيا وحدها مئة ألف مبشر ومبشرة بالمسيحية بالإضافة إلى مالهؤلاء من مدارس ومؤسسات ومستوصفات وصحف وغير ذلك .

وعمد الأعداء في بعض البلاد الإسلامية إلى تخدير الشعوب بأنواع المخردرات إما بالثورات الداخلية والاضطرابات أو بالشعارات أو بالتهتك والخلاعة أو بالجهل والفقر والحاجة لكي ينصرف كل بلد إلى خاصة نفسه فلا يستطيع أن يفكر بغيره أو أن ينظر إلى هذه المؤامرات إلا نظرة سطحية فلا يعبا بها إما لأنه لا يفهم مداها أو لأنه لا يقدر على دفعها .

لقد كانت المؤامرة على الإسلام مؤامرة ضخمة ومنظمة وهي تزداد كل يوم ضخامة وتنظيماً ولذا فقد رأينا إسرائيل تمد يد المساعدة للهندكة لشطر باكستان بينما لم يستطع بلد

مسلم أن يساعد باكستان في شيء لابل لقد كانت بعض البلاد الإسلامية جسراً لطائرات الروس تنقل السلاح والعتاد للهنادكة لتدمير باكستان وأهلها . وإذا كانت أندونيسيا استطاعت أن تنقذ نفسها من قبضة الشيوعية فقد وقعت ، ويا للأسف ، في قبضة دعاة النصرانية فدفعت بلاءً ووقعت في بلاءٍ أعظم .

والخطة الهندوكية تقضي بإزالة باكستان وجعل المسلمين الموجودين ، في باكستان وفي الهند ، وهم نحو ١٧٠ مليون نسمة ، بين أحد اختيارين وكلاهما ذل وهوان وهما إما أن يرحلوا الى حيث يريدون ، وهذا أمر مستحيل تنفيذه عملياً إذ أن هجرة مثل هذا العدد تحدث انقلاباً في الأرض كلها ، وأما الارتداد عن دينهم واعتناق الهندوكية . وحيث إن كلا الأمرين ضرب من المستحيل وليس من السهل على المسلم أن يرتد عن دينه الى دين لا يرضى به عاقل ، وحيث أن الهنادكة يعلمون هذا ولذا فإنهم يعدون العدة منذ اليوم ، أو بالأحرى منذ أن استقلوا ، لإبادة المسلمين بالقتل الافرادي والجماعي . وليس حزب جان سنك الإجرامي إلا الخطوة الأولى في سبيل تنفيذ هذا البرنامج ، يضاف الى ذلك تسليح الهنادكة سرّاً وعدم السماح للمسلمين بحمل أي نوع من أنواع السلاح .

هناك مؤامرات على المسلمين في كل مكان وجد فيه مسلم فمنها ما نعلم ومنها ما لا نعلم ولعل أكثر البلاد ظمناً للمسلمين

وأشدّها غلظة عليهم وحثاً على الكيد لهم ، بعد الهنادكة ،
هم الشيوعيون إذ أنهم اعتدوا على أرواحهم وطردهم من
ديارهم وهدموا مساجدهم وسلبوا أوقافهم ومنعواهم من أداء
فرائضهم وكتبوا لهم كتباً زوروا فيها لهم دينهم وطبعوا لهم
القرآن الكريم محرفاً ليفسدوا عقيدتهم وحرفوا تاريخهم
وينذوهم من مجتمعهم وحرّموا عليهم كسب عيشهم .

وكانت روسيا أول البلاد الشيوعية التي بدأت بمكافحة
الإسلام علانية والعمل على تكفير المسلمين بالترغيب والترهيب
ثم تبعتها البلاد الشيوعية الأخرى .

وإذا كانت الأقوام تمر بالحن وتقاسي المآسي على اعتبار
أن الحن والمآسي للأقوام كالأمرض والعلل للأفراد ، فإن
الأقوام تستطيع أن تغلب على حنّها ومآسيها إذا عالجتها
بحكمة وسداد كما يعالج المريض جسمه ، وأما إذا لم تعالجها
بحكمة وعلى يدي طبيب حاذق أو استسلت لمرضها ظناً منها
أن ما هي فيه لا مخرج لها منه أو أن ما هي فيه هو الصحة
بعينها فإنها تعرض نفسها إلى ما هو أسوأ .

فاذا نظرنا ، اليوم ، إلى المسلمين نجدهم في حالة مؤلمة
سياسة واقتصاداً وعراناً واجتماعاً وأخلاقاً وتفكيراً وأكثر
ما في حالتهم إيلاماً هو أنهم لا يعيشون بعقولهم بل يعيشون
بعواطفهم أو أنهم يعيشون بعقول أعدائهم فهم يأكلون
ويشربون ويفكرون ويلبسون ويننون منازلهم ويمارسون

أعمالهم كما يريد لهم أعداؤهم وأوحوا اليهم بتنفيذه، وبدهي
ان العدو لا يهدي عدوه إلى سبيل الرشاد .

اننا نواجه اليوم ، أخطاراً كثيرة وأشدّها علينا خطر
زعزعة إيماننا بعقيدتنا وديننا وتراثنا وتاريخنا ، لأننا اذا
خسرنا ايماننا خسرنا معه كل شيء بينما اذا سلم لنا ديننا وخسرنا
كل شيء استطعنا أن نسترد كل ما خسرناه بفضل الايمان .

لقد أدرك أعداؤنا هذه الناحية فركزوا عليها في محاربتنا
فبعد أن كانوا يحاربوننا لسلب أرض أو لكسب معركة أو
لربح مال أخذوا اليوم يحاربوننا لسلب ايماننا فقط لأنهم اذا
سلبونا ايماننا سلبونا كل شيء بعده أو هان عليهم أن يسلبوا
كل شيء وهان علينا أن نتنازل عن كل شيء .

فعلينا ، اذن ، أن ندرك هذا الواقع المرير وان نعلم أننا
أمام تحد عالمي وأن نعمل لدفع هذه الحنة قبل أن يأتي يوم
لا ينفع فيه عمل ولا يفيد ندم .

وإذا كانت بعض البلاد الاسلامية ما زالت بعيدة عن
المؤامرة العالمية فإن هناك إخواناً لنا في بلاد أخرى
يقاسون أشد العذاب ويمتحنون في دينهم وفي عقيدتهم وسيوف
الجور والظلم والاعتداء مسلطة فوق رؤوسهم وهانحن نصف
بعض ما شاهدناه في بعض البلاد الشيوعية ليكون لنا عبرة
وحافزاً لدفع البلاء قبل أن يحل ، فالماقل هو الذي يتعظ
بغيره ولا يحرب بنفسه .

والذي يجب أن نعرفه هو أن الصهيونية هي التي تخطط وهي التي تستعمل باقي العالم وسائل لتنفيذ مآربها ، فالعالم اليوم يعيش في علومه وفنونه وآدابه الاجتماعية ، أو قلة آدابه الاجتماعية ، وفي اقتصادياته وكل مقومات حياته مسيراً بأيدٍ صهيونية في نطاق برنامج صهيوني مدروس ومرسوم وليست فلسطين إلا نقطة انطلاق أو هي رأس القمم الذي يريد هذا المارد أن ينفذ منه إلى باقي العالم ، فإذا كنا نريد السلامة علينا أن نشذب أطراف هذا المارد لنقضي على الرأس .



المسلمون
في
البلاد الشيوعية

بلغاريا

بعد الحرب العالمية الثانية استولت روسيا على بلاد أوربا الشرقية واستعمرتها ولم ينج من هذا الاستعمار الا البلاد اليونانية التي دافع أهلها عنها يساعدهم الغربيون فطردوا الروس بقوة السلاح ، وكذلك البلاد النمساوية التي اعتبرت بلاداً حيادية وخرج منها المحتلون، سنة ١٩٥٥ ، بعد أن ذاق أهلها مر العذاب .

وهنا قد مضى على استيلاء الروس على هذه البلاد نحو ثلاثين عاماً وهم ما زالوا يستعمرونها على الرغم من أن أهلها قد أعربوا مراراً عن رغبتهم في الحرية وثاروا مرات في وجه الاستعمار الروسي ثورات مسلحة إلا أن الروس أخذوا هذه الثورات بوحشية وفرضوا حكمهم على البلاد بقوة الحديد والنار .

وإذا كانت القضية السياسية لهذه البلاد قضية مؤلمة ومحزنة ولا سيما في هذا الوقت الذي ينادى فيه العالم بالحرية

وفي زمن تحرر فيه العبيد وهي قضية يجب أن تهتم كل إنسان إلا أننا نريد أن نحصر بحثنا في رسالتنا هذه بأحوال إخواننا المسلمين الذين يعيشون في هذه البلاد لأن حالتهم أشد إيلاماً وحزناً من حالة غيرهم من مواطنيهم غير المسلمين . فالمسلمون في البلاد الشيوعية خسروا كل شيء ، خسروا دينهم وهم محاربون في دينهم ولولا بقية باقية من إيمان يعمر قلوبهم لما بقي للإسلام أثر في تلك البلاد .

لم يكن بالمستطاع قبل بضع سنوات زيارة البلاد الشيوعية زيارة حرة بل كانت الحكومات تتولى هذا الأمر بواسطة شركاتها السياحية فتأخذ السائح من بلده وتنقله بالطائرة إلى البلدان المقصود زيارتها وتريه المدن والأماكن التي تريد له أن يراها ثم إنها تحمله بالطائرة وتعيده إلى بلده . فلا تسمح له بالتجول في البلد الشيوعي ولا بمعاشرة الناس ولا برؤية ما يريد أن يرى ولذا فإن الذهاب إلى البلاد الشيوعية لم يكن يغري أحداً . غير أن سوء الحالة الاقتصادية . التي نشأت عن تطبيق النظام الشيوعي . أجبر الحكومات الشيوعية على فتح أبواب بلادها لاستقبال السياح فيدخلون البلاد من حيث شاؤوا وكيفما شاؤوا وبالطريقة التي يريدونها لكي يأتوا معهم بالعملة الصعبة أو القطع النادر ، ولم يبق بلد من البلاد الشيوعية لم يفتح أبوابه بحرية إلا البلاد الروسية وما يتبعها مباشرة من بلاد البلطيق التي لم تعد مستعمرات بل أصبحت أجزاء ومناطق من

البلاد الروسية باستثناء فنلندة التي قاتلت الروس ودحرتهم
فاحتفظت بكيان شبه مستقل .

وكانت آخر دولة فتحت أبواب بلادها للسياحة هي
بولونيا وذلك في السنة الماضية .

بحث كثيراً عن كتاب يصف حالة مسلمي أوروبا الشرقية
فلم أجد على الرغم من كثرة السياح المسلمين الذين يقصدون
تلك البلاد كل سنة لقضاء فصل الصيف أو بعضه ، ولكنهم ،
ويا للأسف ، لا يقصدونها لرؤية إخوان لهم واستطلاع أحوالهم
بل يقصدونها لشم الهواء والتمتع بالملذات وكان أمر إخوانهم
لا يفيهم . ولما كان أمر هؤلاء الاخوان يهني فقد زرت .
في صيف العام الماضي ، أكثر مدن أوروبا الشرقية وقضيت
متنقلاً بينها نحو شهر ونصف الشهر للإطلاع على حالة إخواني
المسلمين فيها .

وعلى الرغم من أن معرفة الحقيقة كاملة بتفصيلاتها
وفروعها ، أمر غير متيسر بسهولة في مثل هذه الزيارة الخاطفة
التي مررت فيها بهذه البلاد ، لاسيما وأن المرء لا يقع ، بسهولة ،
في البلاد الشيوعية ، على أناس يملكون الشجاعة والصراحة
ليحدثوه بالحقائق ويفتحوا قلوبهم وصدورهم له لأن الشيوعي
أو بالأحرى العائش في ظل النظام الشيوعي يخاف ظله ويمحاسب
نفسه حتى على أنفاسه فكيف على كلمة تخرج من فمه لا يعلم
نتائجها ولا مدى انتشارها لاسيما وأن الناس ، في البلاد

للمشيعوية ، يؤخذون بالشبهات ويحاسبون على أفكارهم ونياتهم ويعاقبون عليها .

وعلى الرغم من كل هذه العوائق فإنني قد وجدت بعض المسلمين المتعطشين إلى قول الحقيقة فوثقوا بي ومحضوني إخلاصهم وأفضوا إليّ بكنون صدورهم وإني قياماً بواجب علي نحو إخوان مظلومين معذبين مهانين مضطدين ، أنقل إلى اخواني المسلمين في كل العالم قصة هؤلاء المظلومين ليعلم الناس كم يقاسون في ظل النظام الشيوعي فعمسى أن ينتصروا لهم .

ولابد لي قبل أن أسجل ما رأيت أو سمعت من أن أشير إلى حقيقة كثيراً ما تخدع البسطاء وذلك أن كثير آمن الناس الذين يزورون البلاد الشيوعية ، بصفقتهم الخاصة ، أو بصفقتهم الرسمية ، إن كانوا من رجال الحكومة ، وأكثرهم ، إذا لم نقل جلهم ، ممن لا يهتمون بالدين ولا يعبأون بأهله ، يعودون إلى بلادهم ليقولوا بأنهم رأوا في البلاد الشيوعية مساجد ورأوا في المساجد مصلين . وهم ينسون حينما يقولون أنهم رأوا مساجد بأن وجود المساجد أمر طبيعي لأن البلاد كانت بلاداً إسلامية أو أنها بلاد حكمها المسلمون قرونًا طويلة وكانوا فيها هم العنصر البارز ويعدون بالملايين ولا يزال يوجد في أوروبا الشرقية حتى اليوم ما لا يقل عن ستة ملايين مسلم ، ولكن الذي يفوت هؤلاء المسلمين أو المسالمين هو أن يسألوا كم هدم الشيوعيون من مساجد ؟

وأما المصلون الذين يراهم الزائر الرسمي أو الحكومي فقد تحشروهم الحكومة حشراً ليراهم الزائر فيرجع الى بلده ويتحدث عنهم وقد لا يكونون كلهم من المسلمين بل من غير المسلمين ومن رجال المباحث أيضاً أو أنهم يكونون غرباء جاؤوا من بلاد أخرى .

ومن الجدير بالذكر أن حكام الأتراك وأثريائهم كانوا يتبارون في تخليد أنفسهم ببناء المساجد ويوقفون الأوقاف الواسعة عليها ، فلم يكن الحاكم أو الثري يهتم بأن يبني داراً لنفسه أو يستملك الضياع والعقارات ليخلفها لأولاده من بعده كما يفعل حكام اليوم بل كان يهتم بأن يبني مسجداً أو تكية أو مدرسة أو مستشفى ويوقف عليه الأوقاف لينتفع به عامة المسلمين ولذا فإن الذي يسير في بلاد البلقان يجد من المساجد في المدن والقرى والأرياف أكثر مما يجد في البلاد العربية ذاتها .

وحاصل القول أن الذي لاشك فيه هو أن الشيوعية عدوة الاسلام رقم ١ وأن كل المظاهر التي يظهر بها الشيوعيون بمظهر الحياء إزاء الأديان إنما هي خداع ومكر لستر حقيقة أمرهم وعدائهم للإسلام كما سترون ذلك فيما سيأتي :

بدء الرحلة

بدأت رحلتي بزيارة بلغاريا فلم أر طول الطريق من الحدود التركية إلى صوفيا ، مئذنة واحدة تشير إلى وجود مسجد ، وقد علمت بأن الأتراك خلفوا في بلغاريا مساجد كثيرة وأوقفوا عليها أوقافاً واسعة كما فعلوا في باقي البلدان البلقانية التي حكموها . فلما استقلت البلاد عن العثمانيين سنة ١٩٠٨ ، هدم البلغاريون بعض المساجد وجاءت الشيوعية بعد ذلك فهدمت الباقي وما لم تهدمه الحكومة المحلية أو تهدمه الشيوعية تلاشى بسبب الإهمال وعدم العناية أو هو في طريق الزوال . حتى أن الذي يدخل البلاد البلغارية من طريق تركيا لا يجد من الآثار ما يدل على وجود المسلمين فيها على أنه كان يوجد فيها مسلمون . ولم يعد يوجد في صوفيا ذاتها على كثرة عدد سكانها وعلى ما كان لها من عظمة أيام العهد العثماني ، غير مسجد واحد قطعت منه حديقته وباحته وأصبح قائماً في شبه جزيرة في نصف الطريق . حينما وصلت صوفيا ذهبت توالى زيارة مسجدتها ، من غير أن أعرج على فندق لأستريح قليلاً من سفر طويل مضى ، فلما وصلته رأيت كما وصفته آنفاً وعلمت أنه هو المسجد الوحيد

الذي بقي من عشرات المساجد التي كانت قائمة في العاصمة .
ولما أردت دخول المسجد من الباب الكبير الكائن وراء حاجز
حديدي وجدت الحاجز الحديدي مغلقاً وتدل حالته وما عليه
من غبار على أنه لم يفتح منذ سنين فصرت أتقدم وأتأخر
وأذب يميناً وشمالاً بحث عن منفذ إلى داخل المسجد فلم أجد
وبينما أنا في هذه الحيرة رأي رجل كان واقفاً أمام حائط
المسجد وأحسب أنه كان مسلماً وأدرك أنني أريد دخول المسجد
فأشار إليّ : أن اتبعني ، فتبعته فهداني إلى باب صغير مغلق
وقال لي : ادخل من هنا فطرقت الباب فلم يجيني أحد فدفعته
فاندفع ونزلت درجتين أو ثلاثاً عن سطح الطريق ودخلت
ردهة صغيرة مظلمة ، رأيت في صدرها غرفة صغيرة مظلمة
أيضاً وليس فيها نور ولا حياة فصحت . هل من أحد ؟ فإذا
برجل يخرج من وراء حاجز خشبي أقيم في الغرفة ليفصلها إلى
جزئين ، ويتقدم مني سائلاً عما أريد فبادرته بلفظ السلام
وكلّمته بالتركية وعرفته بنفسه فرد السلام ورحب بي وأدخلني
الغرفة أنا ومن معي وأجلسنا على مقعد خشبي أمام طاولة
قدرة عليها أشياء مبعثرة تدل على إهمال وعدم عناية . والغرفة
بأثاثها وما فيها من أشياء مبعثرة وما هي عليه من قذارة تشبه
غرفة من غرف بيوت القرى التي تستعمل لاستقبال الأضياف
ولطهو الطعام والنوم ولربط الحيوانات أحياناً أو بمعنى آخر
لإنها كل شيء في كل شيء .

سألت الرجل الذي كان أشبه بالمومياء منه بالإنسان من سوء التغذية ومن الكيد والظلم ، عن هويته فقال : أنا المؤذن . فقلت ، ألا يوجد غيرك في هذا المسجد ؟ قال بلى . يوجد الإمام . قلت : وأين هو : قال خلف الحاجز الخشبي . وسمع الإمام السؤال عنه فأتى إلينا وسلم علينا ورحب بنا .

جلس الرجلان أماناً وأخذنا نتجاذب معها الأحاديث ، والذلة والانكسار والفقر بادية عليهما . فسألتهما عن حالة المسلمين فقالا : إنهم بخير . ولم أكن أتوقع منهما غير هذا الجواب لأنها لا يستطيعان أن يقولوا غير ذلك . ثم إنني سألتها عن حالها وعما يتقاضيان من راتب وكم عند كل منهما من أولاد فأخبراني بذلك ، فقدرت أن مايتقاضاه أحدهما لايعل أسرته أكثر من بضعة أيام مع التقدير ، فسألتهما وهل هذا الراتب الضئيل يكفيكما ؟ فقالا : كلا ، إنه لا يكفي . قلت : وكيف تعيشان مع اسرتيكا إذن ؟ قالا : إننا نأخذ مساعدات من الأوقاف . قالوا هذا حياءً لأنني علمت بعد ذلك أنها يستجديان رزقها استجداءً لأن ماياخذانه من الأوقاف لا يكفي أيضاً . وسياسة التقدير على رجال الدين الإسلامي سياسة مقصودة في البلاد الشيوعية لكي تنقطع رغبة الناس بطلب العلم وشؤون الدين فتغلق المساجد وتهمل الشؤون الدينية بحجة أنه لا يوجد من يقوم بها . وبعد حديث قصير شعرت أنها لا يريدان أن يقولوا لي الحقائق لأنها يخافان عقاب السلطات فاستأذنتها

بالانصراف وطلبت اليها أن أرى داخل المسجد فقاما وفتحاه لي ورأيتها فرصة مناسبة لآكرامها فدفعت لها مبلغاً حسناً إذ آلمني أن أرى رجال الدين في هذه الحالة المزرية .

خرجت من المسجد متألماً لما سمعت وما رأيت أو بالأحرى لما رأيت أكثر مما سمعت لأنني لم أسمع شيئاً كثيراً بل استنتجت من القليل أشياء كثيرة وحاولت أن أتصل بالمفتي - والإفتاء في دول البلقان مقام رسمي نصت عليه معاهدات وقعت بين الدولة العثمانية وبين هذه الدول يوم انفصلت عن الدولة العثمانية ، واعتبر مقام الإفتاء في بلاد البلقان مثل مقام البطارقة في البلاد العثمانية بمعنى أن المفتي هو القيم على شؤون المسلمين في الأحوال الشخصية والأموال الدينية والحكومة مجبرة على تنفيذ أحكامه في هذا المجال .

أقول إنني حاولت الاتصال بالمفتي فقبل لي إنه خارج صوفيا وأنه سيعود غداً ، وفي اليوم الثاني ذهبت اليه فقبل لي إنه لم يرجع ولن يرجع قبل يومين . ولست أدري هل ما قبل لي كان حقاً أو أن خبري وصل إليه بواسطة الحكومة فأمرته بالآ يراني لكي لا أخرجهُ أو أنقل عن لسانه مالا يحبون أن يقال . إنني لأعرف واقع الحال وكل ما أعرفه هو أني حينما رأيت بأن تاريخ رجوعه غير مؤكد قررت ترك صوفيا .

غير أن عدم رؤيتي للمفتي لم تمنعني من أن أرى غيره ممن شرحوا لي حالة المسلمين شرحاً كافياً ومؤلفاً وهما إنني أنقل

بعض ما سمعت : إنه لا يحق للمسلم البلغاري دخول المسجد حق ولا للزيارة والمسلم الذي يطمع بوظيفة حكومية عليه ألا يذهب إلى المسجد ، والموظف اذا ذهب إلى المسجد يطرد من وظيفته وطالب الجامعة إذا ذهب إلى المسجد يطرد من جامعته ولا يقبل في غيرها والعامل الذي يدخل المسجد يطرد من عمله .

وتعتمد الحكومة البلغارية ، اليوم ، إلى طريقة شيطانية لطمس أثر الوجود الإسلامي في بلغاريا ، فهي بعد أن منعت الناس من أداء فرائضهم الدينية ، حق في الخفاء ، عمدت إلى إجبار المسلمين البلغاريين على تغيير أسمائهم الاسلامية أو العربية وتبديلها بأسماء مسيحية . وتجد الحكومة صعوبات كثيرة في قبول المسلمين لهذا الأمر لأن المسلمين يعلمون بأن تغيير الاسم هو الخطوة الأولى لتغيير الهوية . وهذا يدل بصراحة على أن الشيوعية لا تحارب الأديان كلها ، كما يتوهم الأغرار ، بل هي الإسلام وحده واللاء ماذا كان يضرها أن يكون هذا المواطن محمداً أو جورج أو موسي ما دام شيعياً ؟ ! أو يكون مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً ما دام بلغارياً ؟ ! إن الذي يزعم الشيوعية هو الإسلام وحده ولذا فإن البلاد الشيوعية تعمل بكل الوسائل للقضاء عليه وعلى أهله .

وحُدثتُ عن رجل اسمه محمود حسن طلبت الحكومة إليه أن يغير اسمه لأن اسلامه بارز من اسمه ، لقاء إغراء مادي . فرفض الرجل بلباء على الرغم من حاجته وقال : إني لن

أبدل إسمي ولو قطعتم رأسي . ولم تستطع الحكومة أن تضره
في شيء ، لأنه كان عاملاً والعامل يكون عادة بعيداً عن
رقابة الحكومة المباشرة وعن سلطتها ويكون تحت حماية النقابة
والنقابة لا تستطيع أن تتظاهر بالتحيز لمسلم أو مسيحي ولا
أن تهمل الدفاع عن حقوق عامل ظلم فما كان من الحكومة
إلا أن وضعت تحت الرقابة ثم لفتق أعوانها ضده تهمة
أخذته بها .

وحدث في إحدى المدارس أن جمع مدير المدرسة الطلاب
الذين فازوا بامتحان الشهادة الاعدادية ووزع الشهادات على
مستحقيها من المسيحيين ثم إنه اتجه إلى الطلاب المسلمين وكان
عدهم ستة طالب وقال لهم : إنكم قد فزتم بالامتحان وحققت
لكم الشهادة وها هي الشهادات أمامكم ولكن بقي عليكم شيء
واحد لكي تحصلوا عليها وهو أن تغيروا أسماءكم فيها انتخبوا
أسماء مسيحية لأعطيتكم شهادات تحمل هذه الأسماء الجديدة .
فما كان من الجميع إلا أن رفضوا هذه المساومة الدنيئة بكل
إباء وشتم وقال أحدهم ، وكان فق شجاعاً واسمه صالح ،
مخاطباً المدير : احتفظوا بهذه الشهادات وأضيفوها إلى أوراق
المراحيض لتمسحوا بها أقفيتكم فإننا لسنا بحاجة إليها إذا
كان الحصول عليها لا يتم إلا بهدر كرامتنا .

وهكذا فقد حرم هؤلاء الفتيان من حق اكتسبوه بجد
وجهد لأنهم أبوا أن يغيروا أسماءهم ليزيلوا عن أنفسهم الصفة

الاسلامية . وإذا كانت الحكومة ترضى على طلاب بشهادات استحقوها بعلمهم وعملهم لأنهم مسلمون فإن هناك كثيراً ممن يحرمون من دخول المدارس لأنهم مسلمون .

وتخلق الجامعات العراقية المتنوعة في وجه الطلاب المسلمين لكي تحول دونهم ودون دخول الجامعة حتى ولو كانوا يتمتعون بكل المؤهلات وامتازوا على غيرهم من الطلاب البلغاريين من يهود ومسيحيين . ولذا فلا يوجد ، حتى اليوم ، في جامعة صوفيا ، غير عشرة من المسلمين بينما تضم الجامعة بضعة آلاف من الطلاب ، ولم يسمح لهؤلاء العشرة بالانتساب إلى الجامعة إلا بالوسائط ولذر الرماد في العيون .

إن المسلمين مظلومون في ظل النظام الشيوعي ظلماً لا حدود له ، فهم محاربون في دينهم وفي لقمة عيشهم وفي حياتهم السياسية وفي حياتهم الاجتماعية وفي كل شيء ، ولولا بقية باقية من خوف من العالم المتمدين لما تأخر الشيوعيون عن سوق المسلمين كالأغنام إلى المسلخ لذبحهم . وليس المسلمون أحراراً في حياتهم الخاصة ولا العامة ولا في عقيدتهم ولا في عباداتهم إنهم ليسوا مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة بل هم ، في نظر الشيوعيين ، أعداء للنظام ويعاملون على هذا الأساس ، فلا يوجد لهم وزير في الحكومة ولا نائب يمثلهم في مجلس الشعب على الرغم من أن الوزراء والنواب لا يزيدون عن دمي في النظام الشيوعي .

وحيث أن المسلمين يعلمون نيات الشيوعيين نحوهم فانهم لا يخضعون للضغط ولا للارهاب بل كلما اشتدت الحكومة وضغطت عليهم تشددوا هم بالحفاظ على دينهم وعلى تقاليدهم . فهم ما زالوا يسمون أنفسهم أتراكاً ولا يرضون بأن يقال لهم : بلغار ، بل البلغاري ، في عرفهم ، معناه البلغاري المسيحي وأما البلغاري المسلم فهو تركي . فإذا سأل المرء مسلماً بلغارياً عن جنسيته يقول له : أنا تركي ، فكأن التركية التي تمثل الاسلام هي دينهم وهي جنسيتهم . ومبالغة من البلغاريين المسلمين في التمسك بدينهم أو مبالغة منهم في الابتعاد عن غير المسلم فانهم لا يرضون أن يتزوجوا من البلغاريات المسيحيات ، على الرغم من أن هذا جائز شرعاً ، وإذا حدث أن تزوج مسلم من مسيحية حلت كارثة بالأسرة كلها ، وأما زواج البنت البلغارية المسلمة من البلغاري المسيحي فهذا مما لا يخطر في بالهم قط .

فقد حدث أن تزوج مسلم من بلغارية مسيحية فطرده أهله من الدار وقاطعوه . وضائق الأرض بشخص مسلم ولم يجد عملاً فاضطر إلى تغيير اسمه فقبلاً منه كل أهله حتى أمه الارملة لأنهم يعدون تغيير الاسم بمثابة الارتداد .

بيد أن الشيوعيين لا يتراجعون أمام تصلب المسلمين بل هم جادون في تنصيرهم ، وتهيداً لهذه الخطوة فقد أخذت الحكومة تجبر المسلمين على تسمية أولادهم ، يوم ولادتهم ،

باسماء مسيحية حتى ينشأ الولد وهو لا يعرف من الاسلام شيئاً ولا يجد مايفرقه عن غيره من أولاد المسيحيين فاسمه كاسمائهم وفعله كفعلهم ودين الجميع الشيوعية . ولما كان الآباء لا يستطيعون رد طلب الحكومة لأنها لاتعطي لأولادهم هويات إذا لم تكن لهم اسماء ومن لم تكن له هوية لا يستطيع أن يدخل مدرسة أو يعمل عملاً في مستقبل حياته ، ولذا فإن أكثر الآباء أخذوا ينزلون عند الأمر الواقع مكرهين ويسمون أولادهم باسماء مسيحية ولكن بعض الآباء تنازلوا عن أبنائهم وتركوهم للحكومة ولم يرضوا بأن يضمومهم إلى أنفسهم لكي لا ينسبوا إلى أولاد عليهم صفة المسيحية أو ظاهرها .

وظاهر أن عمل الآباء هذا ، على ما فيه من مرارة على أكبادهم ، هو دليل على تمسك المسلمين ، في بلغاريا ، بهذه المظاهر التي ليست من الدين في شيء ولكنهم يخشون بأن تؤدي بالطفل إلى الابتعاد عن الدين . وقد يظن من لا يعرف كيد الشيوعيين أن عمل الآباء هذا إنما هو مغالاة في التطرف إذ كان بإمكانهم أن يحتفظوا بأولادهم مسلمين وأن يربوهم تربية إسلامية على الرغم من اسمائهم المسيحية ، ولكن الحقيقة هي غير ذلك وأن الشيوعيين إنما جعلوا تبديل الاسم أول خطوة يخطونها بالطفل نحو الإلحاد وهم أقدر على بلوغ مرادهم من الآباء لأنهم هم الذين يعلمون الطفل وهو طفل ويعلمونه وهو فقي ويتلقفونه وهو شاب في المدارس العليا أو الجامعات أو

المؤسسات أو المصانع وعندهم من اسباب الاغراء والترغيب والترهيب ما لا يوجد عند الآباء . فترك الطفل ينشأ على المسيحية او الاحاد وهو لا يعرف والديه ولا يعرفه والداه أهون على قلوب بعض الآباء من أن ينشأ مسيحياً أو ملحداً وهو في حجرهم أو ينتسب إليهم . وهذه إحدى فواجع الشيوعية .

وإمعاناً في النكاية بالمسلمين فقد أغلقت الحكومة البلغارية مدارس مهنية كانت أوجدتها لتعليم النساء البلغاريات، مسلمات ومسيحيات ، منها يكتسبن بها عيشهن في الظاهر وعلى أمل أن تكون وسيلة لنشر الاحاد بين المسلمات في حقيقة الأمر فلما لم تنجح هذه المدارس في مهمتها بل كانت المسلمات تقابلن الدعاية الإلحادية بصدود ، لم تر الحكومة مبرراً لوجود هذه المدارس فأغلقتها .

وكانت الجامعات البلغارية تقبل ، فيما مضى ، الطلاب الذين هم من اهل البلاد النائية ويأتون على حسابهم الخاص من غير أن يكونوا مرسلين من قبل حكوماتهم فكان كثير من الطلاب الأتراك يلتحقون بالجامعات البلغارية فلما رأت الحكومة بأن الطلاب المسلمين الذين يأتون من خارج بلغاريا يؤثرون في الطلاب المسلمين البلغاريين ، أدخلت في السنة الماضية ، بعض التعديلات على هذا النظام استثنت بموجبها الأتراك والمسلمين عامة .

ومن الجدير بالذكر هو أن بلغاريا لا تقبل طالباً أجنبياً ،

أي غير بلغاري ، في جامعاتها إلا الذين يأتون إليها بعثات
عربهم حكوماتهم الشيوعية وتثق بإخلاصهم العقيدي . فالبلاد
الشيوعية النامية تنتخب فريقاً من طلابها وترسلهم إلى جامعات
بلغاريا ليزدادوا ثقافة عقدية وليرجعوا إلى بلادهم مشبعين بروح
الشيوعية . ولكن هذه القاعدة لا تنطبق على السوريين إذ هناك
اتفاقية بين الحكومتين السورية والبلغارية تقضي على بلغاريا
بأن تقبل في جامعاتها كل سوري يأتيها سواءً أ جاء موفداً من
قبل حكومته أم جاءها من تلقاء نفسه وعلى نفقته ، ووجود
هؤلاء الطلاب الأحرار الذين كثيراً ما يكونون غير شيوعيين
يزعج الحكومة البلغارية لأن منهم متعصبين لدينهم ولا يرضون
عنه بديلاً ولكن الحكومة تصبر عليهم على مضض أو تطردهم
إذا خشيت شغبهم .

والبلاد الشيوعية كلها وعلى رأسها روسيا تعمل جاهدة في
محاربة الإسلام وقتل الروح الاسلامي بالترغيب والترهيب
والقول والعمل . وإن ما يجري في روسيا أو ما تبذره روسيا
من اساليب لمحاربة المسلمين يطبق في باقي البلاد الشيوعية التي
هي اشبه بمستعمرات روسية ولا سيما بلغاريا التي اتخذتها
روسيا كلب حراسة للمبادئ الشيوعية ومخلب هر لها تسابقها
السير إلى الإلحاد وإلى اضطهاد الإسلام والمسلمين . لا بل فإن
اضطهاد المسلمين والقضاء عليهم فكراً وعقيدة هو من أهم
ما يتجه إليه الشيوعيون لأنهم يعلمون بأنه لا يمكن نشر

الشيوعية في بلد اهل مسلمون حقاً وإنما تنشر الشيوعية في بلد فقد اهل الروح الإسلامي وانعدام الوعي فيه ولذا فإن روسيا تبذل جهوداً كبيرة لنشر الإلحاد على اعتبار انه الخطوة الرئيسية للقضاء على الإسلام . وعلى سبيل المثال ننقل إلى قرائنا ما سمعناه بهذا الصدد. فقد ذكرت إذاعة كولونيا باللغة العربية كلمة في إذاعة لها في شهر حزيران سنة ١٩٧٠ على لسان رئيس جمهورية ازبكستان، قالها امام المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي المنعقد في شهر آذار ١٩٧١ ، وهو يتحدث عن منجزات الحزب الشيوعي في بلاده ما يلي: إن الشيوعيين أنشأوا أربع مئة مدرسة واثنى عشرة جامعة لتعليم الإلحاد ، وأنه ألقى في ازبكستان وحدها خلال السنة الماضية ١٢٠٠ محاضرة إلحادية .

ويقول رئيس الجمهورية المذكور : إن الاسلام ما زال يقف سداً منيعاً في وجه الشيوعية .

فكل هذه المدارس وهذه الجامعات وهذه المحاضرات هي ، إذن ، لمحاربة الاسلام الذي يقف سداً في وجه الشيوعية . وبعد هذا كله يدعي الشيوعيون أن الحرية الدينية موجودة في بلادهم . ولست أفهم كيف تكون هناك حرية في الوقت الذي تقفل فيه المساجد وتهدم وتضبط الأوقاف ويمنع المسلمون من أداء واجباتهم الدينية وتبنى المدارس والجامعات لنشر ومحاربة الإسلام ؟ ! .

إن الحملة على الاسلام حملة قوية لا بل أستطيع أن أقول
 إن هدف الشيوعية الرئيسي هو هدم الاسلام ولذا فإن
 الشيوعيين يحاربون في كل مجال وبكل وسيلة لبلوغ هذا الهدف.
 إن مجرد الدخول إلى المسجد محظور على المسلم في بلغاريا،
 والحكومة تراقب المساجد لترى الداخلين اليها وتتخذ عقوبات
 رادعة بحق من يتحدى أوامر الحكومة ويدخل المسجد فإن
 كان طالباً في جامعة طرد من جامعته أو موظفاً في الحكومة
 طرد من وظيفته أو عاملاً شددت عليه الخناق ، ولذا فإن
 المسلمين يتبعدون حتى عن المساجد ولا يرتادها إلا القرباء. وما
 ينطبق على الطالب المسلم البلغاري ينطبق أيضاً على الطالب
 المسلم غير البلغاري إلى حد بعيد، فالحكومة البلغارية لا تنظر
 بعين الارتياح إلى الطالب المسلم ، غير البلغاري، الذي يتظاهر
 بتمسكه بدينه ولا تطمئن إليه ، ولذا فإن الطلاب المسلمين
 غير البلغاريين الذين لا يريدون أن يصطدموا بإدارة الجامعة
 يصلون سرّاً في منازلهم من غير أن يراهم أحد لا من أهل
 المنزل ولا من رفاقهم .

وقد علمت من بعض طلاب جامعة صوفيا أن السيد سهيل
 الأتاسي طرد من جامعة صوفيا ، حيث كان يدرس الطب ،
 لأنه لم يكن يكتّم إسلامه وهو الآن يدرس الطب في جامعة
 أنقرة. وطرد أيضاً من جامعة صوفيا طالب آخر وهو السيد
 ياسر غلاونجي لتظاهره بإسلامه . واللهم التي وجهتها إليهما

الجامعة هي أنها كنا يدافعان عن دينها ويردان عنه التهم
ويؤديان واجباتهما الدينية .

هذا وإن خطبة الجمعة تقرأ بالعربية ولا يسمح بقراءتها
بأية لغة سواها يفهمها المصلون مثل التركية أو البلغارية لأن
القصد هو إبعاد الناس عن فهم دينهم وعدم فهمهم لما يقوله
الخطيب . وعدم استطاعتهم قراءة القرآن الكريم يجعلهم
يؤدون صلاتهم حركات من غير فهم . فهم لا يقرأون القرآن
ولا يفهمون الخطبة فما هذه الصلاة ؟ !

وتبالغ الحكومة البلغارية في محاربة الإسلام إذ أنها تمنع
دخول الكتب الإسلامية إلى بلادها كما تمنع إدخال القرآن
الكريم أيضاً . وحدث أن إمام أحد المساجد أدخل نسخة
من القرآن الكريم فأخذ وسجن وعذب ثم أخرج من السجن
وأمر بإقامة جبرية وأصبح موضع شبهة ومظنة عند الحكام .
وتقيم الحكومة البلغارية أيام العطلة المدرسية الصيفية
نخبات تجمع فيها الطلاب لتلقي عليهم محاضرات في تمكين
الشيوعية والإلحاد من نفوسهم وتوجه عناية خاصة إلى الطلاب
المسلمين .

إن ما رأيته في صوفيا وما سمعته ، بما ذكرته ، كان شيئاً
كثيراً من حيث نتائج السيئة ولكنه هو القليل القليل مما
يقاسي هؤلاء الاخوان في أرض الذل والعبودية . بيد أني لم
لم أكتف بما رأيته وما سمعته في صوفيا بل ذهبت إلى الجنوب

الغربي من البلاد حيث يوجد عدد كبير من المسلمين فرأيتهم كلهم في حالة يرثى لها من الفقر والذل ورأيت ما بقي من المساجد آخذ بالانهيار وهي تكاد تكون خالية إلا من فريق من الشيوخ الذين لا يخافون الحكومة ولا تخافهم الحكومة ولكنها لا تزال تصفهم بالرجعية والجمود . وقد سألتني هؤلاء الاخوان أن أشرح حالتهم لمسلمي العالم لينقذوهم مما فيه لأنهم مهددون بالفناء . وإني إذ أعرض حال هؤلاء المظلومين على العالم الاسلامي لا أفعل على امل ان يهب هؤلاء لإنقاذ أولئك بل أفعل لكي تكون هذه المآسي عبرة لهم حتى لا يقعوا في الشراك الشيوعية .

وإذا كانت بعض البلاد الشيوعية في البلقان تعرض المساجد على السياح كأثار قديمة فإن بلغاريا لا تفعل هذا بل تفضل إهمال المساجد لكي تندثر ولكي ينسى الناس أن في البلاد مساجد وفيها مسلمون .

وبعد أن تنقلت في الجنوب الغربي اتجهت إلى الشاطئ البلغاري على البحر الأسود فوجدت في بعض القرى التي مررت بهما زالت مآذنها ظاهرة وسليمة ولكن المساجد ذاتها مهملة وآخذة بالانهيار .

وفي مدينة فارنا^(١) السياحية بضعة مساجد عمل البلغاريون

على هدمها أو إخفائها عن الأنظار بأبنية عالية أقاموها أمامها تمهيداً لهدمها . فقد سمعت من بعض الناس من أهل فارنا انه كان يوجد في بلدهم مساجد ولكنهم لم يعودوا يرونها . وسألت الدليل الذي كان يرافقني ، والذي قال لي إنه يعلم بوجود بضعة مساجد في المدينة ، إنه يريني احدها فأخذني إلى كنيسة وهو يظنها مسجداً ولعلها كانت من قبل مسجداً هدموه وبنوا على أنقاضه كنيسة ، والشيوخ قادرون على فعل كل شيء لأن احداً لا يستطيع أن يقول شيئاً او أن يعترض

هذه صورة خاطفة التقطتها عن حالة المسلمين في بلغاريا، خلال رحلتي فيها ، وهي صورة حزنة مؤلمة وخيفة معاً ، فقد رأيت المسلمين أشد ذلة وأكثر خوفاً على انفسهم وعلى دينهم من غيرهم من المواطنين لأن الذي ذاقوه ويدوقونه من ظلم وإرهاب لم يذقه المواطنون الآخرون ومع ذلك فهم متمسكون بدينهم صابرون على أذاهم محتسبون أجرهم عند ربهم ، ورأيت بعضهم يهتم بالشؤون الاسلامية الخارجية ويسألني عن حالة المسلمين وعما جرى بقضية فلسطين .

لقد رأيت شباباً وشابات طلاب جامعات أو عاملين في مختلف حقول الحياة ورأيتهم مليئين بالايان فخورين بدينهم ولكنهم مع الأسف لا يمارسون فروضهم الدينية لأنهم يجهلون القرآن ولا يدرون كيف يصلون ولكنهم يصومون . ويعد شهر رمضان المظهر الوحيد من مظاهر الشعائر الدينية التي

ما زالت تمارس في بعض البلاد الشيوعية على غير علم من السلطات الشيوعية .

وقد سألت فتاة ، تعمل في محطة بيع البنزين ، وقد رأيتها متحمسة لدينها أشد الحماسة فيما إذا كانت تصلي فقالت :
إني لا أعرف الصلاة ولا ما أقرأ في الصلاة ولكن أصوم رمضان سرّاً أنا وكل أهلي .

ومن المؤسف المؤلم أن المسلمين في البلاد الشيوعية لا يجدون من يعلمهم أمور دينهم ويثقفهم ثقافة دينية إسلامية لأن الحكومات الشيوعية لاتسمح بذلك ، ولذا فلا يستبعد أن يأتي يوم ، لا يجد المرء فيه مسلماً في البلاد الشيوعية إذا ظل المسلمون في غفلتهم هذه : وإذا وجد فإنما يكون مسلماً بالاسم وهو أخطر على الاسلام والمسلمين من الملحدين . ولكن أملنا كبير بنهضة إسلامية عظيمة ينتصر فيها الاسلام والمسلمون على الكون لأنها إرادة الله ولا راد لإرادته .



رومانيا

بعد أن رأينا بلغاريا وتجولنا فيها ورأينا شقاء مسلميها دخلنا رومانيا وما كدنا نجتاز حدودها حتى رأينا المآذن صاعدة في السماء في كل ناحية من نواحيها. ففي بلدة مانغاليا^(١) الواقعة على البحر الأسود ، بالقرب من الحدود البلغارية - الرومانية ، رأيت مسجداً - ومما جلب نظري في بلاد البلقان كلها أن المقابر تكون في ساحات المساجد الخارجية ولا سيما في القرى أو يكون جانب من ساحة المسجد مفرز ليكون مقبرة ، وقد تكون هذه المقبرة لعلية القوم - ورأيت أكثر القبور الموجودة في ساحة هذا المسجد قد دثرت وشواهداها قد بعثرت وكل هذه الشواهد منقوشة بالحرف العربي باللغة العربية أو التركية بالإضافة إلى الآيات القرآنية . ورأيت المسجد مغلقاً ويبدو أنه لم يفتح منذ زمن بعيد ورأيت السياح يدخلون يتفرجون عليه من خلال زجاج نوافذه المكسرة .

. Mangalia (١)

ورأيت على الرصيف أمام المسجد رجلاً وامرأة فكلمتهما وعلمت
منهما أنهما مسلمان فسألتهما فيما إذا كان يوجد في هذا البلد الصغير غير
هذا المسجد فأجابا بالإيجاب وقالوا : إنه يوجد بضعة مساجد
إلا أنها مهجورة وهي آخذة بالاندثار فسألتهما عن عدد المسلمين
في هذه المدينة فقالوا : خمسة آلاف نسمة وكلهم في حالة سيئة .
وعلى الرغم من أنني لم أستطع أن أحص صدق هذا العدد غير
أنني اعتقد أن فيه مبالغة بالنسبة إلى صغر هذه المدينة .

ومن منغاليا ذهبنا إلى كونستنزا ، البلد الذي يعتز به
الرومانيون ويدر عليهم خيرات حسان وملايين من الدولارات
سنوياً بفضل السياحة . ويكاد هذا البلد يكون إسلامياً إذ
يوجد فيه نحو عشرة آلاف مسلم ولذا فإن مفتي رومانيا يقم
فيه وليس في العاصمة . ومسلموا رومانيا متمسكون بدينهم
ويعطفون على المسلمين من أي بلد كانوا . فقد دخلنا مطعماً
لنا كل ولم نجد أحداً من موظفيه نتفاهم معه باللغات التي نعرفها
فسألت : هل من يعرف اللغة التركية ؟ والتركية هي لغة
المسلمين في كل بلاد البلقان وهم مازالوا يحافظون عليها ويسمون
أنفسهم أتراكاً فكل مسلم هو تركي وكل من يتكلم التركية فهو
مسلم حتماً . فقالت لي رئيسة المطعم : أنا اعرف التركية .
قلت : أنت ، إذن ، مسلمة . قالت نعم واسمي صبيحة .
وأخذت تؤانسنا حينما علمت بأننا مسلمون ثم سألتنا عما رأينا
في كونستنزا وهل زرنا أحداً من المسلمين . فقلت لها : إننا

لأنعرف أحداً نزوره ولكن يسرنا أن نرى بعض المسلمين في منازلهم . فقلت : إني أستطيع أن أرافقكم بعد أن أنتهي من عملي ، لأريك ما لم تروا من معالم المدينة ونزور بعض منازل المسلمين وآخذكم إلى داري أعرفكم إلى زوجي وأريك أولادي . فتواعدنا على ذلك في ساعة بعد الظهر ولكن الموظفة التي كان من المفروض أن تخلفها في العمل ، بعد الظهر ، ذاك اليوم ، لم تأت فحرمنا من رفقتها .

وفي كونستنزا أربعة مساجد أشهرها وأكبرها مسجد الجمهورية بناه السلطان محمود الأول العثماني ، سنة ١٧٣٠ ، أي سنة توليه العرش ثم انه احترق وجدد بناؤه سنة ١٩٩٠ وكان اسمه مسجد المحمودية فسماه الشيوعيون مسجد الجمهورية . وأما المساجد الثلاثة الأخرى فإنها مغلقة ولم أر غير واحد منها من الخارج ولم أهتم إلى مكان المسجدين الآخرين .

ومسجد الجمهورية هذا أحد الآثار التاريخية المعروضة لزيارة السياح وتقام فيه صلاة الجمعة .

وزرت مفتي رومانيا واسمه يعقوب محمد أفندي وهو رجل لطيف ومهذب ويتكلم التركية مثل كل المسلمين وقد أهديته نسخة من القرآن الكريم ونسخة من كتاب (مسلم الغد) فأخذ القرآن الكريم وقبله ووضعه على رأسه وشكرني على هذه الهدية الثمينة ، لأن إدخال القرآن ممنوع إلى هذه البلاد الشيوعية . ثم أخذ كتابي « مسلم الغد » وقال لي : إني

لأعرف العربية ولكنني سأحتفظ به بكل اعتزاز ذكرى لهذا الاجتماع فنحن لا نرى أحداً من المسلمين يزورنا .

فسألته إذا كان زار البلاد العربية فقال : نعم ، زرت دمشق ومررت ببغروت وأنا الآن مدعو لحضور مؤتمر إسلامي في الرباط . قلت : عرج ، إذن ، علينا فإننا سوف نرحب بك وهناك كثير من الناس الذين يسرهم أن يتعرفوا اليك ليسمعوا منك شيئاً عن مسلمي رومانيا . فقال : إن هذا غير ممكن لأن الحكومة تعطيني تذكرة سفر بالطائرة إلى بلد المؤتمر ومنها إلى بلدي ولا أستطيع أن أتوقف في أي بلد سواهما . فتأملت حاله ولما تعانیه الشعوب التي تعيش في ظل النظم الشيوعية من إرهاب وإذلال وضغط وظلم .

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين في كل بلاد البلقان لا يتقنون برجال الدين من مفتين وأئمة ولا يأمنونهم لأنهم يعتبرونهم من الموالين للسلطة ، والسلطة عدوة الشعب المسلم ، ويستدلون على موالاتهم للسلطة بالرواتب الضخمة التي يتقاضونها ، إذ بينا أكبر راتب في الدولة هو ٣,٠٠٠ لي" ، يتقاضى المفتي ٧٥٠٠ لي" ، ويتراوح راتب الإمام في رومانيا ، كما قيل لي ، بين ١٢٠٠ و ١٨٠٠ لي" ، تدفع الحكومة نصف الراتب فقط وتدفع الأوقاف النصف الثاني . والأئمة ورجال الدين كلهم تابعون للمفتي . ومن هذا يبدو بأن رجال الدين المسلمين في رومانيا أحسن حالاً من زملائهم في بلغاريا إذا كان ما قيل لي صدقاً .

بيد أني رأيت في بعض القرى أئمة مساجد في حالة يرثى لها .
 وتعامل الحكومة كل رجال الدين ، من مسلمين ومسيحيين ،
 معاملة واحدة بشأن الراتب ، أي أنها تدفع لهم نصفه من خزينة
 الدولة والنصف الآخر يأخذونه من أوقافهم إذا كان في
 الأوقاف ما يؤخذ . ومن الجدير بالذكر أن الحكومة الرومانية
 الشيوعية المتحدة تعامل رجال الدين المسيحي غير معاملة رجال
 الدين الاسلامي ومثال ذلك أن الخوري يتقاضى راتباً قدره
 ثلاثة أضعاف راتب الامام ، وحجة الحكومة في ذلك أن
 الخوري يحمل شهادة جامعية وهي حجة واهية إذ ليس كل
 خوري يحمل شهادة جامعية ولا سيما خوارنة الارثوذكس كما
 وأن حملة الشهادات الجامعية من أطباء ومهندسين وأساتذة
 تبدأ رواتبهم بالف وخمس مئة لي (أي مئة دولار بالسعر
 الرسمي و ٥٠ دولاراً بالسعر الحقيقي) فلو كانت القضية قضية
 شهادات ، كان من الواجب معاملة الجميع معاملة واحدة وهذا
 غير حاصل لبالنسبة إلى تقرير الرواتب من حيث الشهادة ولا
 بالنسبة إلى شخص حامل الشهادة . غير أن الذي فهمته هو
 أن الحكومة تريد أن تضيق العيش على المسلمين لكي لا يميلوا إلى
 الناحية الدينية فلا يكونون أئمة ولا علماء دين فتغلق المساجد
 كما هو حادث في الأرياف إذ أن الإمام لا يحصل على ما يكفيه
 لشرب الماء لاما يكفيه لسد الرمق ، ولذا فإن المساجد
 خربة ومهملة .

قلت للمفتي : إذا كانت حجة الحكومة في التفريق بين راتب المسلم والمسيحي هي الشهادة الجامعية ، فلماذا لا ترسلون بعثات إلى الأزهر أو إلى المدينة المنورة ليأتوا بشهادات جامعية في العلوم الدينية ؟ فقال : لقد فكرنا بذلك وبعثنا بعض الشبان إلى الأزهر فلما أخذوا شهاداتهم لم يرجعوا إلينا وليس ذلك لعدم محبتهم لبلادهم أو عدم رغبتهم في نفع أبناء وطنهم بل لأنهم يعلمون بأنهم لا يستطيعون أن يفيدوا مواطنيهم بعلمهم بل سيكونون بين أحد أمرين إما أن يكونوا أدوات في أيدي الحكام يأترون بأمرهم وينفذون مآرهم على حساب الدين وإما أن يقضوا بقية أعمارهم في السجون . أقول : ولهذا فإن العقلاء يخشون هذه العاقبة التي قد تؤدي ، في يوم من الأيام ، إلى إغلاق المساجد كلها لعدم وجود أئمة ولعدم وجود مصلين ومسلمين إلا بالاسم .

قلت للمفتي : إني أعلم بأن أهل الخير تركوا أوقافاً كثيرة في رومانيا وباستطاعة المسلمين أن يعملوا أشياء كثيرة بهذه الأوقاف فلماذا لا تستفيدون منها؟ قال : لقد صادرت الحكومة الشيوعية كل أوقاف المسلمين فيما صادرت من أملاك . قلت : وهل صادرت أموال الكنيسة ؟ قال : لا ، لأنها لم تمسها لان الحكومة لم تصدر العقارات الوقفية بل صادرت الأراضي الزراعية وحيث أن أكثر أوقاف المسلمين كانت أراضي زراعية وبساتين وطواحين فقد صادرتها وتركت لنا العقارات وهي

قليلة ولم تصدر للمسيحيين شيئاً لأن كل اوقافهم عقارات .
وبالتالي فان الشيوعيين يحتالون بشق الحيل لسلب أموال
المسلمين وعقيدتهم وللضغط عليهم وإرهاقهم ، وقد خنقت
أصواتهم وقطعت الصلات بينهم وبين العالم الاسلامي الخارجي
وتولت هي وحدهما القول عنهم وملأت اسماع العالم بالمساواة
وبجربة الاديان في البلاد الشيوعية وبغير ذلك من الدعايات
وكل هذا الكلام كذب .

تقول الاحصاءات الرسمية ، كما قيل لي ، أنه يوجد في كل
رومانيا خمسون الف مسلم ولكن الخبراء يقولون بأن عددهم
أكثر من ذلك بكثير لاسيما وأن المسلمين ، في كل بقاع الأرض ،
يخلفون كثيراً من الأولاد . وكونستنزا وما حولها تحوي
القسم الأكبر من مسلمي رومانيا وفي كونستنزا ذاتها توجد
أحياء إسلامية خالصة لا يسكنها إلا المسلمون وأحياء إسلامية
بأكثريتها .

وبالقرب من كونستنزا توجد مدينة سياحية يقول القائلون
إنها لم تكن موجودة في عالم الوجود قبل بضع سنين بل
أوجدتها الضرورة السياحية وهي مدينة مامايا ، وقد زرت
هذه المدينة ورأيت فيها مسجداً قديماً وله مئذنة ولست
أدري فيما إذا كان يوجد فيها غيره أم لا . وقد لاحظت باب
مسجد مامايا قد شطر إلى شطرين فأصبح نصفه مسجداً
مهجوراً والنصف الآخر داراً للسكن ، لا أدري من يسكنها

وأعتقد أن شطر المسجد إلى جزئين إنما هو مقدمة لإزالة معالنه في المستقبل ولن يعدم المتآمرون على الإسلام أن يجدوا، بعد سنوات ، حيلة لإزالة المئذنة التي ما زالت تدل عليه ثم يسهل عليهم إخفاء معالنه كاملة .

والذي يتجول في البلاد الرومانية يجد هنا وهناك مساجد ولكنها مهمة أو متداعية لأن الحكومة لا تعني بها وأوقاف المسلمين مصادرة والقليل القليل الذي بقي منها لا يكفي رواتب للموظفين ثم لو أراد المسلمون أن يصلحوها بتبرعات يجمعونها لما سمحت لهم الحكومة بذلك .

وفي العاصمة ، بكرشقي ، التي يسميها الغربيون بخارست وكان الأتراك يسمونها بكرش لم أجد حق ولا مسجداً واحداً فعجبت لذلك كل العجب إذ أنه من غير المعقول ألا يكون في هذه العاصمة مسجد وقد كانت ولاية عثمانية ذات شأن ومأهولة بالمسلمين ، والمسلمون يهتمون كثيراً ببناء المساجد . فسألت عن مسجد فقيل لي إنه كان يوجد مسجد واحد ولكن الحكومة اضطرت إلى هدمه لأنه واقع في وسط شارع جديد فنقلته إلى مكان آخر ، أي أنها هدمت الجامع القديم وبنيت مسجداً جديداً في مكان آخر . فقلت لصاحب هذه الرواية : دلني على مكان المسجد الجديد . ففكر طويلاً ثم قال لي : أعتقد أنه في مكان كذا ولكن الأفضل أن أتثبت من ذلك وأخذ يسأل المارة فكان كل واحد يهديه إلى مكان

وأخيراً وبعد تبادل الآراء أجمع اثنان أو ثلاثة من الناس على مكان واحد فذهبنا اليه وإذا به كنيسة وليس بمسجد . غير أن مفتي كونستنزا قال لي إنه يوجد مسجد في بخارست تقام فيه الصلاة كما يوجد فيها ٤,٠٠٠ مسلم ولكنهم ضائعون في خضم العاصمة أو العاصفة لا يسمع بهم أحد ولا يعلم عنهم شيئاً . والمسلمون في رومانيا مثل إخوانهم في باقي البلاد الشيوعية يعيشون على هامش الحياة فهم غير ممثلين لا في الحكومة ولا في المجالس الشعبية وليس لهم وزير ولا نائب ، وليس من سبب لهذا الإهمال إلا كونهم مسلمين ، بينما للأرمن ، وهم أقل من المسلمين عدداً ، وزير ونائب . ويعلن المسلمون هذه الحقيقة بكل مرارة وأسى ولكنهم لا يستطيعون أن يطالبوا بحقوقهم لأن المسلم ليس له حق بل يصير له حق إذا تنكر لدينه .

وهكذا يرى المرء بأن الحكومة الرومانية آخذة بإبادة كل أثر إسلامي سواء أكان مادياً كالمساجد والمدارس والأوقاف أو كان معنوياً كاللغة والعبادات وتعمل الحكومة جهدها وبكل الوسائل لهضم حقوق المسلمين وإضعافها ، ولا يستطيع المسلمون أن يعترضوا أو يحتجوا على جور الحكومة لأن كل حركة تصدر عن فرد أو جماعة تفسر تفسيراً سياسياً وتؤدي بصاحبها إلى الموت أو العذاب الأليم .

ومما يزيد الأمر تعقيداً وصعوبة هو أن المسلمين لا يستطيعون

ان يعترضوا على شيء أو يطالبوا بشيء مادام لهم هيئة رسمية
تمثلهم وتنطق باسمهم وهي الافتاء . والمسلمون لا يثقون
بالمفتين لأنهم يعتبرونهم صنائع الحكومة وهم لا يستطيعون أن
يقولوا أو أن يفعلوا غير ما تريده الحكومة ولذا فإن حقوق
المسلمين ضائعة وليس من يدافع عنهم أو يستطيع أن
يدافع عنهم .

إن المسلم يعيش في خوف دائم على روحه وعلى رزقه وعلى
أمنه أو بالأحرى إنه يعيش في معزل عن الحياة لكي يسلم له
دينه، وإن الذي أخشاه هو ألا تبقى له دنياه ولا يبقى له دينه .



المجر

وبعد هذه الجولة في أنحاء رومانيا غارنا إلى المجر فوجدنا بأن الشيوعيين قد قضوا على كل أثر للمسلمين في العاصمة على الرغم من أنه كان يوجد في بودابست عدد كبير من المساجد وعدد كبير من المسلمين بالإضافة إلى جاليات إسلامية كثيرة منتشرة في طول البلاد وعرضها منذ العهد العثماني ، ولكن عدم وجود مركز إسلامي في بودابست وبالنظر إلى الضغط والإرهاب الذي تمارسه السلطات على المسلمين وبالنظر إلى الشبهات التي تحوم حول من يظهر أي نشاط إسلامي فقد تعذر عليّ الاتصال بالمسلمين لاستطلاع أحوالهم مباشرة . وقد حاولت كثيراً الاتصال بصديق قديم لي وهو الاستاذ عبد الكريم جرماموس وهو مجري الأصل وقد اعتنق الاسلام منذ نحو خمسين سنة ، على ما أذكر ، ولكن لم أستطع الاتصال به ولا بأية وسيلة ، ولست أدري هل كان في بودابست يوم مررت بها ولم أهتم إليه لأن تلفونه لم يكن يحجب ، أو كان

متغيباً عنها . وعلى كل حال فإنني لم أراه وحيث إنني لا أعرف أحداً غيره لأسأل عنه فإن مجرد سؤالني عن المسلمين كان يجلب الأنظار إليّ وربما أضر بمن أتصل به .

أما ما استطعت أن اكتشفه من الآثار الإسلامية أو الآثار الدالة على وجود المسلمين في الماضي فهو كنيسة ماتيئاس أو التتويج، وهي أكبر كنيسة في العاصمة وقيل لي إنها كانت فيما مضى مسجداً ثم صارت كنيسة ، وعلى الرغم من الأيدي الفنية والهندسية التي لعبت فيها لتغيير معالمها فإن النفوش العربية (أرابيسك) التي ما زالت تزينها تدل على هذه الحقيقة . وليست هذه الكنيسة وحدها هي ما اغتصبه المسيحيون من المسلمين بل لقد شاهدنا مثل ذلك في كل البلاد الشيوعية وشاهدنا كثيراً من الكنائس التي كانت مساجد من قبل . وليس الشيوعيون هم الذين حولوا هذا المسجد الفخم ، الذي لا يقل فخامة ووضخامة عن مساجد استانبول الكبيرة ، إلى كنيسة . بل الذي حوله هم المسيحيون أصحاب العهد الماضي الذين تولوا الحكم في البلاد بعد خروج العثمانيين منها ، وأما الشيوعيون فإنهم لم يتركوا أثراً للإسلام يدل على ما سبق من وجودهم ، اللهم إلا أثراً واحداً وهو حمام ما زالوا يعرضونه على السياح ويسمونه الحمام التركي ، وهو حمام ما زال يستعمل للغرض الذي بني له ويستحم فيه الناس من أهل البلاد ومن الأغراب . وما عدا ذلك فإنني لم أر أثراً إسلامياً في بودابست ولعل هناك

آثاراً مخفية لم تظهر لي ولا يعرفها أهل البلاد أنفسهم بل يعرفها الاخصائيون فقط أو لعله لا يوجد شيء بل أزال الشيوعيون كل أثر .

وقد سألت وألحفت بالسؤال لمعرفة فيما إذا كان يوجد في البلاد أثر عثماني فلم أجد ، ولكنني سمعت بوجود مسجد في بلدة ايفيرا (١) الكائنة على بعد ١٤٠ كيلو متراً شمال بودابست فقصت هذا البلد لرؤية هذا المسجد فقط ، أي أنني قطعت نحو ٣٠٠ كيلو متر ذهاباً وإياباً لأرى هذا الأثر الإسلامي ولكن خيبة ظني كانت كبيرة حينما وصلت البلد ولم أجد مسجداً بل وجدت مثذنة مشرعة في ساحة من ساحات البلد وقد أحيطت قفص حديدي وكأنها مسلة أقيمت في هذا المكان ورأيت إلى جانبها وعلى بعد ثلاثة أمتار منها كنيسة ، مما يدل على أن المسجد هدم وأقيمت مكانه هذه الكنيسة وتركت المثذنة في مكانها إما لتوهين المسلمين وتحقيرهم وإذلالهم أو لكي تكون مجلبة للسياح ، ومهما يكن من أمر فإنها ستظل شاهداً على اعتداء الشيوعيين على المقدسات الإسلامية دون سواها إذ أنهم يهدمون المساجد ليقيموا الكنائس في أماكنها .

آلمني هذا المنظر فتركت المدينة وعدت إلى بودابست ومنها قصدت مدينة بيتش (٢) ، في جنوب البلاد ، حيث بلغني أنه .

١) Eger

٢) Pecs

يوجد مسجد فأجبت أن اراه لأنني لم أكن أقصد من رحلتي هذه إلا الاطلاع على أحوال المسلمين ورؤية الآثار الاسلامية . وما كدت أدخل المدينة حتى أطلت علينا المئذنة وإذا بالمسجد قد أصبح متحفاً أو مكتباً للسياحة تعرض فيه الصور ويسمح للزائرين بالصعود إلى أعلى المئذنة للاشراف على المدينة وما حولها . وتتقاضى الحكومة أجراً عن كل من يريد صعود المئذنة فصعدت مع الصاعدين وعددت درجات المئذنة فإذا هي ١١١ درجة إذا لم أكن سهوت في العد .

رأيت المسجد خالياً من كل أثاث وأصبح ممراً للصعود إلى المئذنة لأن باب المئذنة من داخل المسجد .

وهناك مسجد آخر فخم قائم إلى جانب ساحة المدينة الرئيسية ويقال إنه كان المسجد الجامع وقد تحول إلى كنيسة واطاف إليه المجرىون جانباً جديداً ولكنهم حافظوا على شكله وقبته ونوافذه بزجاجها ونوافذها العربية من الداخل واطافوا الهياكل برسوم وصور بعض قديسيهم كما هي العادة في الكنائس محاولين بذلك طمس معالم المسجد ، ولكن المسحة الإسلامية ظلت ظاهرة عليه والناس كلهم ، والمسيحيون في الطبيعة ، يقولون إن هذه الكنيسة كانت مسجداً . وسواء أقال الناس أم لم يقولوا فإن شكل البناء ووجود المحراب

يدلان على حقيقته . وحيث أن إقامتي في بيتش كانت قصيرة جداً فإني لم أستطع أن أبحث عن المسلمين أو أن أجتمع بأحد منهم . وإذا كنت قصرت من هذه الناحية ، في هذا البلد وقصرت في كل بلد لم تيسر لي فيه رؤية إخواني المسلمين بسهولة فالسبب في ذلك هو أن البحث عنهم قد يعرض من أقابلهم إلى غضب الحكومة ، ولذا كان لابد من التلطف في البحث لكي لا تحوم الشبهات حولهم فيتهموا بالتجسس لحساب دولة أجنبية والاتصال بشخص غريب . فالموضوع حساس جداً في البلاد الشيوعية حيث يؤخذ الناس بالشبهات ويتهمون بالظن .

ولكي لأعرض أحداً للخطر كانت خطتي في البحث عن إخواني المسلمين هي أن أقصد المسجد في أي بلد أدخله واجتمع بالإمام بصفتي مسلماً ، وعن طريق الإمام أو غيره من المسلمين الموجودين في المسجد من أهل البلد أو من الأعراب كنت أتصل بأناس آخرين ، بحيث اني لم اكن افعل ما يعرض أحداً للسؤال والجواب والأخذ والرد . وكنت أرى بأن السؤال عن مسلم ، من شخص لا أعرفه ولا يعرفني ، والذهاب اليه أو الاجتماع به امر غير محمود بالنظر إلى حساسية الشيوعيين تجاه المسلمين وتجاه كل ما هو اسلامي . ولذا فإن كثيراً من المسلمين الذين كنت أجمع بهم ومحدثونني حديث القلب ، كانوا يرجونني ويلحون عليّ بالألا اذكر أسماءهم ولا اشير اليهم ولا

أقول بأنني أعرفهم أو اجتمعت بهم لأن كل هذا قد يعرضهم
إلى الأذى أو على الأقل إلى السؤال والجواب ، ومن سؤال
وأجاب وضعت على اسمه نقطة سوداء . وإذا كان الشيوعي
عامّة والمسلم خاصة يعيش في بؤس وشقاء في ظل النظام
الشيوعي فالويل لمن كان إلى جانب اسمه نقطة سوداء .



تشيكوسلوفاكيا

غادرت المجر إلى تشيكوسلوفاكيا لأدرس حالة المسلمين فيها فلما وصلتها شعرت بنفسي بأني في سجن لا أستطيع أن آتي بحركة فقد كنت أشعربأني مراقب وأن حركاتي وسكناتي معدودة علي وأن الناس تنظر إلي نظرة ريبة فلا أحديكلمني ولا أحد يجيبني على سؤال وأناي مقيد . وعلى الرغم من كل هذا فإني استطعت أن أتلطف إلى بعض الناس لأبحث معهم الشؤون الإسلامية من الوجهة العلمية ولكنني لم أقع على مسلم من أهل البلاد أستطيع أن أفهم منه شيئاً عن حقيقة الحالة وخلاصة ما وصلت إليه هو :

١ - إن عدد المسلمين ضئيل في تشيكوسلوفاكيا وهم يعيشون حياة تستريكتهم هوياتهم لكي لا يكونوا موضع نقمة من الشيوعيين .

٢ - إن الآثار الإسلامية في البلاد التشيكوسلوفاكية مطموسة تماماً وتحتاج إلى دراسته علماء آثار وإلى وقت طويل ليكتشفوها ، أو إلى إقامة طويلة في البلاد وبمحت مع المسنين

من المسلمين الموجودين فيها لاستقصاء ذلك بالأحاديث والروايات .

٣ - إن الشيوعيين ولا سيما بعد استيلاء الروس على تشيكوسلوفاكيا ، أصبحوا حساسين من هذه الناحية حساسية زائدة وهم لا يهتمون أن يروا من يذكر لهم الإسلام أو المسلمين ، وإن الغريب الذي يتعرض لهذه الناحية يعرض نفسه ويعرض ابن البلد لمخاطر ومشاكلهما في غنى عنها لا سيما وإن نتائجها ليست بذات غناء . ولا يستطيع المرء أن يبحث هذه الناحية سراً لأن الشرطة السرية منتشرة في كل مكان والغريب مراقب ولذا رأيت من الصواب أن أهمل هذه البلاد في الوقت الحاضر على أمل أن تقوم في يوم من الأيام بعثة حكومية من دولة إسلامية لتقصي حالة المسلمين فيها ، لأنه إذا كان الشعب يقاسي الأمرين من الظلم والاضطهاد فأخلق بالمسلم المظلوم المضهد أن يكون أتعس حالاً .



يوغوسلافيا

غادرت تشيكوسلوفاكيا غير آسف عليها وقصدت
يوغوسلافيا وكنت مشتاقاً إليها بعد فراق مضى عليه عشرات
السنوات ، فقد زرت يوغوسلافيا قبل الحرب العالمية الثانية
وأحببتها كثيراً إذ أحببت فيها أرضها وسماها وجوها وبحرها
وحياتها وأهلها ، وكنت أمني النفس بالرجوع إليها للاستمتاع
بمعالمها الإسلامية وبالاستمتاع إلى أحاديث إخواني المسلمين فيها ،
والدافع إلى هذا الحب هو أن المسلم يشعر في يوغوسلافيا أنه في
بلد إسلامي مئة بالمئة مظهراً ومخبراً .

كانت زغريب أول بلد ندخله في يوغوسلافيا وعلى الرغم
من أن الشيوعيين قضوا على كل مظاهر الإسلام في زغريب
بحيث أنهم لم يتركوا فيها مسجداً ولا مدرسة ولا تكية ، فإن
الإسلام ما زال قوياً فيها إذ يوجد في زغريب أربعون ألف
بموجب الإحصاء الحكومي وربما كانوا أكثر من ذلك . وكان
يوجد فيها مسجد جميل له ثلاث مآذن ويقع في ساحة من
كبريات ساحات المدينة تسمى إلى اليوم ساحة المسجد أو ساحة

الأتراك ، وكلمة تركي تعني المسلم في كل أوروبا الغربية أيضاً .
فلما انقضى العهد التركي هدم المسيحيون المآذن وجعلوا المسجد
متحفاً بعد أن غيروا معالمة وطمسوا بعض آثاره من الداخل
وما زال حتى اليوم كذلك ، ولكن كل الناس يعرفون
بأن هذا المتحف كان من قبل مسجداً وأكبر دليل على ذلك
هو أن الميدان الذي أقيم فيه ما زال ، حتى يومنا هذا ،
يعرف باسم ساحة المسجد أو ساحة الأتراك ، كما أسلفنا .
وداخل المتحف وما فيه من نقوش ووجود الخراب فيه كلها
أدلة على حقيقته .

وهناك رواية تقول بأنه كانت ، قبل العهد العثماني ،
تحدث اختلافات ومنازعات بين الكاثوليك والأرثوذكس من
أهل البلد فاستعدى الكاثوليك ، في يوم من الأيام ، العثمانيين
على الأرثوذكس فأجحدوم وأخضعوا البلاد فما كان من
الكاثوليك إلا أن أهدوا العثمانيين هذا البناء ، الذي كان
كنيسة ، اعترافاً بفضلهم عليهم في انقاذهم من أيدي الأرثوذكس
فحولوا العثمانيون إلى مسجد . ولكن لأستسيغ هذه الرواية
إذ أن الكاثوليك قدموا للعثمانيين كل البلاد أو أن العثمانيين
استولوا على كل البلاد عنوة فما معنى تقديم الكنيسة وهو أمر
لم يسيح أن فعله أحد ، بل كان العكس هو المعقول ، أي
أن يشترط المسيحيون على العثمانيين حماية كنائسهم لا أن
يسلموها للفتح ، ولكن تصح هذه الرواية على وجه واحد

هو أن يكون أهل زغريب اعتنقوا الاسلام عن بكرة أبيهم .
 وحيث تعدد كنائسهم مساجد لهم ، وهذا ما يحدثنا التاريخ
 عنه . أضف إلى ذلك أنه لم يثبت أنه كان لهذا البناء صومعة
 كما هي حال الكنائس ، بينما على الضد من ذلك ، يعرف كل
 الناس أنه كان لهذا المسجد مآذن . ولعل الشيوعيين هم الذين
 أشاعوا هذه الإشاعة لكي يبرروا استدلاءهم على هذا المسجد .
 ثم . لو كان البناء المذكور كنيسة في الماضي لكانت الحكومة
 أرجعته إلى أصحابه الأصليين ولم تجعله متحفاً ، فجعله متحفاً
 دليل على أنه لم يكن كنيسة قط بل كان مسجداً وهو ليس
 أول مسجد يصبح كنيسة .

ومن المؤسف أن يكون في زغريب أربعون ألف مسلم
 وليس لهم مسجد بالمعنى الصحيح بل إنهم اتخذوا شقة في
 بناية مسجداً ، والغرفة التي جعلوها مصلى لا تتسع لأكثر
 من مئة شخص ، وقد رأى المسلمون أنه من العار أن يظلوا
 من غير مسجد فطلبوا من الحكومة أن تسمح لهم بإقامة
 مسجد يليق ببلدهم وبعددهم فوافقت الحكومة على هذا الطلب
 على اعتبار أن حكومة جمهورية كروانيا التي زغريب عاصمتها
 تعد حكومة إسلامية ، غير أن الحكومة وافقت على هذا
 الطلب ، من جهة ، ورفضته من جهة أخرى وذلك أنها
 رفضت أن تعطيم أرضاً داخل حدود المدينة بل سمحت لهم
 ببناء مسجد على قطعة أرض خارج المدينة بالقرب من مقبرة

بمعنى أنه لو بنى المسلمون مسجدهم في هذا المكان لما استطاعوا أن يقصدوه لأداء صلواتهم بسبب بعده عن مركز المدينة ، ولا تزال المساعي تبذل لدى الحكومة الكروانية للحصول على أرض في مكان صالح .

ولما كانت الحكومة اليوغوسلافية ، مثل غيرها من الحكومات الشيوعية ، قد سلبت المسلمين كل أوقافهم فإنها لم تترك للمسلمين اليوغوسلافيين الامكانيات المادية التي تساعدهم على بناء مسجد ، ولذا فقد فكر المسلمون أن يجمعوا تبرعات من العالم الاسلامي لبناء مسجد ، غير انهم اخترعوا طريقة لجمع هذه التبرعات وذلك أنهم صنعوا اسطوانة سجلوا عليها بعض الآيات القرآنية والأدعية وهم ينوون بيعها ورصد ريعها لهذه الغاية ، ويأملون أن تأتيتهم مساعدات من ملوك المسلمين وأمرائهم وأثريائهم وأهل الخير منهم لإنجاز هذا المشروع .

والمسجد مصمم لستائة شخص وقد أنفقوا على تصميمه سبعين ألف دينار يوغوسلافي أي نحو أربعة آلاف دولار أمريكي ويقدرّون نفقات بناء هذا المسجد بعشرة ملايين ونصف مليون دينار أي سبعمائة ألف دولار . وهو مبلغ قليل في حد ذاته ولكنه كثير بالنسبة إلى فقر البلاد الشيوعية وإفلاسها . وسيكون إلى جانب المسجد مدرسة دينية .

وبالإضافة إلى ما رأيت عليه اليوغوسلافيين المسلمين من حرص على التمسك بدينهم فقد رأيتهم حريصين جداً الحرص

على تعلم اللغة العربية أيضاً لأنهم يدركون أن لا إسلام بلا لغة عربية ، ولكنهم مع الأسف ، لا يجحدون من يعلم إياها ، وحدثوني أنهم اتفقوا مع أستاذ من بلد عربي فاستثمرهم واستغلهم ثم إنه فر وتركهم وخلف بعمله هذا أسوأ الأثر في نفوس القوم الذين يحسنون الظن بالعرب .

وعلى الرغم مما يروى عن شيوعية تبتو، ومن أنها أخف وطأة على المسلمين من شيوعية البلدان الأخرى ، وعلى الرغم من أن عدد المسلمين في يوغوسلافيا يتراوح ما بين ثلاثة ملايين ونصف المليون ، كما يقول الحكوميون ، وبين خمسة ملايين كما يقول بعض المسلمين المطلعين ، فإن المسلمين مظلومون ومضطهدون ومعذبون ولم يكونوا يحسبون مواطنين عاديين بل مواطنين من الدرجة الثانية . وينظر إليهم نظرة ريبة وحذر ، ولكن يبدو بأن النظرة إليهم قد اختلفت اليوم وأصبح المسلم مساوياً لليوغوسلافي ظاهراً ولكن الحكم ما زالوا يخلطون الأسباب لسلب المسلم حقه، وما زال الرعب يسيطر على النفوس ، وعلى الرغم من كل المواعيد التي وعدتها الحكومة بانصاف المسلمين فإن الظلم لم يرفع بعد عن كواهلهم وما زالت أوقافهم مسلوبة وما زالوا محرومين من التعليم الديني وما زالوا غير متساوين بالوظائف والأعمال مع غير المسلمين . فقد كان للغازي خسرو بك أوقاف تفوق الحصر استولت عليها الحكومة ، ما عدا المساجد والمقارنات ، ولم ترجعها إلى

المسلمين حتى الآن ولا هي تنوي أن ترجعها أيضاً . بينما لو أعادت الحكومة للمسلمين أوقافهم لكان باستطاعتهم أن يساهموا مساهمة فعالة في نهضة البلاد وفي رفاهيتها بفتح مدارس وإنشاء مستوصفات ومستشفيات وبناء ملاجئ ، ولكانوا استطاعوا أن يوفروا للمسلمين أعمالاً كثيرة ولرفعوا مستواهم . الشيوعيون لا يريدون لهم هذا بل يريدون لهم الفقر والذلة والزوال أيضاً .

والحكومة اليوغوسلافية التي يظن أنها أقرب الناس إلى إنصاف المسلمين ، لا تتأخر عن ظلم المسلم وسلبه حقه إذا كان خصمه شيوعياً فمن ذلك أن أحد اليوغوسلافين تظاهر بالإسلام فقبله المسلمون ورحبوا به وأسكنوه شقة تابعة للأوقاف مجاناً ، وإذا بالرجل بعد مدة يردد ويدعي أن الشقة ملكه وقد أيدت الحكومة دعواه ونصرتة على المسلمين وانتزعت ملكية الشقة من المسلمين وأعطته إياها ولم يمض على هذا الحادث غير سنوات وما زال الرجل حياً ويتمتع بالشقة تحت سمع المسلمين وبصرهم . وهذا حادث من مئات الحوادث التي حدثت وتحدث باستمرار ، في ظل النظام الشيوعي ، ويسلب المسلم حقه ويهان ويظلم .

تركنا زغريب التي مثلت لنا الظلم والجور بأقبح مظاهره بما رأينا وسمعنا من أعمال ارتكبت عدواناً على المسلمين وعلى حقوقهم ، واتجهنا إلى مدينة سراجيفو أو سراي سراجيفو ،

كما يقول اليوغوسلافيون ، ومررنا في طريقنا إليها بقرى كثيرة
تزين أكثرها مآذن المساجد حتى إن المرء ليظن نفسه في بلد
إسلامي ، غير أن أكثر هذه المساجد مغلق او مهمل والمفتوح
منها خال من الناس وتبدو عليه آثار الإهمال . ومنظر المآذن
وقباب المساجد تعطي تلك السهول والهضاب والوديان جمالاً
لا يراه المرء في غير هذه البلاد ، لأن طراز المآذن والأنيقة
الباسقة وجمال هندستها وقباب المساجد التركية طراز جميل
وفخم تتناز به البلاد التركية على غيرها من البلاد الإسلامية
اللهم إلا البلاد التي حكمها الأتراك مثل دمشق ومصر والتي
قلدت الطراز التركي .

دخلنا سراجيفو فشعرنا لأول وهلة وكأننا في بلد مسلم مئة
في المئة إذ يوجد في هذه المدينة ٧٣ مسجداً ، قيل لي إن صلاتي
المغرب والعشاء تقام فيها كلها في أيام رمضان وتقام صلاة الجمعة
على طول السنة في ٢٣ مسجداً منها ، وهي مفتوحة للصلوات
الخمس في كل يوم .

ومن البدهي أن يكون إلى جانب هذه المساجد الكثيرة
أوقاف كثيرة وأشهرها أوقاف الغازي خسرو بك وأوقاف
فرهاد وأوقاف علي باشا وغيرها كثير ، وكلها قد سلبت من
أيدي المسلمين واستولت عليها الحكومة ولكن أسماءها
ما زالت عالقة بها وكذلك ترك أمر الإشراف على المساجد
والعناية بها إلى المسلمين وهم يقومون بما يقدرون عليه من خدمات

وعناية بهذه المساجد ولولا هذه العناية لهدم أكثر هذه المساجد
وزال من الوجود .

وفي سراجيفو مكتبة تعرف باسم : مكتبة الغازي
خسرو بك فيها كتب مطبوعة ومخطوطة عربية وتركية يعود
بعضها إلى بضع مئات من السنين وأكثرها تاريخية أو فقهية
وتوجد هذه المكتبة ، الآن ، في قاعات مسجد السلطان سليمان
الثاني وهو مسجد كبير وأبوابه مفتوحة للصلاة وللسياح معاً .

اجتمعت في سراجيفو بالسيد حسين جوزو وهو القيم على
شؤون المسلمين أو مساعد رئيس العلماء ، اكبر مرجع ديني في
جمهورية البوسنة والهرسك . والسيد حسين جوزو رجل لبق
ذكي ومثقف ثقافة إسلامية عربية إذ أنه درس في مصر وهو
يتكلم العربية بطلاقة . وبحكم عمله فقد زار أكثر البلاد العربية
أو كلها لأنه هو الذي يحضر المؤتمرات الإسلامية نيابة عن
حكومته أو عن مسلمي البوسنة والهرسك . ويقال بأن
الحكومة تثق به ثقة كبيرة وتعتمد عليه اعتماداً تاماً .

وميزانية رئاسة العلماء مليون دينار يوغوسلافي تدفع
جانباً منه - لا أدري كم هو - ويقوم المسلمون بتسديد باقي
المبلغ عن طريق التبرعات . وكانت الحكومة ، فيما مضى ،
وبعد أن سلبت المسلمين أوقافهم ، تساعدكم بمبلغ من المال
لتغطية نفقات المصالح الإدارية الدينية ولكنها بعد ذلك أوقفت
هذه المساعدات فاضطر المسلمون إلى أن يجمعوا المال اللازم

من أهل الخير والثراء لتغطية هذه النفقات وأن يعملوا جهدهم للإبقاء على ما هو موجود من المساجد على حاله ويتعهدونه بالعناية والترميم حتى لا يتهدم وحتى يستطيع المسلمون القيام لمبشعائهم الإسلامية ، ولولا هذه الأريحية وهذا الإيمان لتهدمت أكثر المساجد وزالت ، وهذا ما كانت ترمي إليه الحكومة التي تدعي صداقة العرب وصداقة المسلمين ولكن المسلمين اليوغوسلافيين فوقوا عليها ما أرادت بفضل تسكاتفهم وتعاونهم .

والنهضة الدينية الإسلامية في يوغوسلافيا نهضة مباركة لأن المسلمين أخذوا يشعرون بالخطر المهدق بهم فصاروا يعملون لدفعه . ويوجد اليوم ، في سراجيفو ، مدرسة دينية إسلامية تضم ٣٠٠ طالب وكان يوجد من قبل مدرسة دينية للبنات فألغيت بعد الحرب العالمية الثانية . وتسعى رئاسة العلماء الآن إلى إعادة إنشاء الكلية الشرعية التي ألغتها بعد الحرب أيضاً ، وتقدر تكاليفها بـ ٧,٥٠٠,٠٠٠ دينار وستجمع كلها تبرعات من المسلمين . ويبلغ عدد المسلمين في مدينة سراجيفو بـ ١٥٠,٠٠٠ نسمة أو يزيدون .

والمسلمون في يوغوسلافيا متمسكون بدينهم تسكاً شديداً ، ورغم المحاولات العديدة ، التي قام بها الشيوعيون وقام بها أعداء الإسلام والمسلمين والمنافقون لصرف الناس عن دينهم فإن هذه المحاولات لم تزد الناس إلا إيماناً وتعصباً لدينهم وتمسكاً به .

وقد تسنى لي أن أزور بعض إخواني المسلمين في منازلهم
فكنت أرى منهم كل لطف وإيناس وأستقبل بالترحاب
والاحترام لمجرد كوني مسلماً . وقد رأيت المسلمين في منازلهم ،
الآن ، وعلى الرغم من اختلاف طراز الحياة ، بين الماضي والحاضر ،
يعيشون كما لو كانوا يعيشون في الزمن الماضي . فهم يخلعون
أحذيتهم داخل الغرف ولا يمشون بها على السجاد لكي يبقى
فرشهم وأثاثهم طاهراً صالحاً للصلاة عليه ، ويعيشون حياة
عائلية متماسكة منسجمة الأب والأم رأس الأسرة والبنات
والأبناء أعضاء متممة في أسرة صالحة ، وكل الذين رأيتهم
من نساء ورجال رأيتهم متعصبين لدينهم حريصين على القيام
بفروضه ومظاهره ، والأدب التركي ، الذي نعرفه في طفولتنا
ما زال شعار القوم إذ كانت ربة المنزل حينما تقدم إلينا القهوة
التركية رمز الترحيب والإيناس تظل واقفة أمامنا وإحدى
يديها على صدرها والصينية في اليد الثانية حتى ننتهي من شرب
القهوة ولم تكن ترضى بالجلوس ، في حضرتنا ، إلا بعد إصرار
شديد وإلحاح ورجاء .

وفي سراچيفو نادٍ للشبان المسلمين تابع لرئاسة العلماء
وله جريدة اسمها (البعث الإسلامي) ولكنها جريدة متواضعة
وتكاد تكون محصورة في أعضاء النادي لأنها لا تستطيع أن
تعالج من الأمور إلا ما ترضى عنه الحكومة ، بيد أن كل هذه
الأمور تدلنا على أن الحكومة اليوغوسلافية لم تعد تستطيع

أن تضغط على المسلمين كما كانت تفعل في بدء الثورة بل أخذت تدرك أهميتهم العددية في كيان الدولة وأنهم يستطيعون أن يحطموا هذا الكيان إذا ما ثاروا أو طالبوا بالاستقلال عن بقية الجمهوريات، وعملية مثل هذه يخسر فيها المسيحيون خسارة كبيرة لأن أفضل جمهوريات يوغوسلافيا اقتصادياً وسياسياً وإقليمياً ومناخاً هي جمهورية البوسنة والهرسك وجمهورية كراونيا وهما إسلاميتان من حيث عدد السكان .

نعم ، إن رئاسة العلماء هي التي تقوم بهذه الأعمال ولكن ما كان لهذه الرئاسة أن تعمل عملاً لا توصي به الحكومة المركزية أو لا ترضاه بدليل أن رئاسة العلماء موجودة في البلاد من قبل أن تخلق الشيوعية واستمرت بعد الشيوعية ولم تستطع أن تأتي بعمل إلا في نطاق موافقة الحكومة وسياساتها .

ولعل أصدق مثال على ذلك هو ما رواه لي أحد المسلمين متأماً حيث قال : إن الشيوعيين يحاربوننا بالقول وبالفعل سلباً وإيجاباً ومثال ذلك أنهم يجبرون أبناءنا الذين يؤدون الخدمة العسكرية على أكل لحم الخنزير لكي يعودوهم على الاستهتار بأمور دينهم والاستخفاف بها . فلما احتج الجنود ورفضوا أكل لحم الخنزير أخذت الحكومة بعضهم وعاقبته ولكن هذا العقاب زادهم نفوراً وإصراراً فخشيت الحكومة العواقب إذ هدد الجنود بثورة حاطمة ، وغيام ثورة في البلاد أمر نحيف ولذا فلم تر الحكومة علاجاً ناجحاً لتهدئة الخواطر

وللاستمرار في أكل لحم الخنزير إلا أن استصدرت فتوى من دار الافتاء تجيز للجنود المسلمين أكل لحم الخنزير .

سمعت هذا وعجبت من جرأة دار الافتاء على إصدار تحليل بأكل طعام محرم بلا مبرر بينما بالإمكان إطفاء الجند لحم البقر إذا عز الضأن ، ولكن الحكومة لا تريد ذلك لسببين ، السبب الأول : هو إذلال المسلمين وإفساد عقيدتهم . والسبب الثاني : هو كون لحم البقر نادر وتصدره الحكومة إلى الخارج لتأتي بالقطع النادر . واجتمعت إثر ذلك بالحاج إبراهيم ذو البهار رئيس الأئمة ومفتش الأوقاف وسألته عن ذلك فقال لي : نعم ، لقد أفتينا بتحليل أكل لحم الخنزير للجنود استناداً إلى قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) . قلت : وأين فتواكم من هذه الآية التي تنص على أن يكون أولياء الأمور من المسلمين الذين يعرفون الحلال والحرام ولا يأمرؤن بما يخالف حكم الله؟ ثم أين هذا من قوله ﷺ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ ! » .

وهكذا يعمل الشيوعيون على تصديع البناء الإسلامي بكل وسيلة باللين تارة وبالعنف أخرى وبالاغراء والحيلة أحياناً ولكنهم لم يبلغوا حتى اليوم ما يريدون ولن يبلغوه أبداً . وكل ما استطاعوا أن يفعلوه هو أنهم أدخلوا الإلحاد في صدور بعض الأغرار الذين استهووهم بالملاذ الجسمية والأعراض الدنيوية واستخدموهم ليكونوا أدوات لهم في تضليل غيرهم من الجهال .

وسبب عدم نجاح الشيوعيين في تضليل المؤمنين هو أولاً أن الشيوعية كشفت عن نفسها بعد أن فشلت في كل أعمالها وكذبت في كل مواعيدها، وثانياً لأن المسلم قد يتهاون بأمر دينه أو قد يقصر بأداء بعض واجباته إما كسلاً أو جهلاً أو تحت تأثير بيئة معينة ولكنه لا يرضى عن دينه بديلاً . لأنه لا يجد ما يساويه أو يدانيه، بل كل ما في الأمر أن المسلمين في غفلة ولا بد لهم من أن يستيقظوا ، ويوم يستيقظ المسلمون يكون يوم انبثاق فجر جديد في عالم الأخوة العالمية والانسانية الكاملة والنهضة الاصلاحية الشاملة وهو يوم لا بد آت لأن الدين عند الله الاسلام ولن يقبل من الانسان العاقل الكامل ديناً غيره .

ومن المدن اليوغوسلافية التي يجب على كل مسلم أن يطلع على حالتها مدينة سكوبية التي كان العثمانيون يسمونها اسكوب ، وكانت في العهد العثماني لا تقل أهمية . من حيث إسلامها ، عن مدينة سراجيفو إذ كان يوجد فيها مئتا مسجد لم يبق منها اليوم إلا عشرون مسجداً وهذه العشرون كلها خربة وهي أقرب أن تكون خرائب من أن تكون مساجد ، والحكومة عاملة جهدها في هدمها وتخريبها والقضاء عليها بالإهمال تارة وبلاستيلاء تارة أخرى بحجة شق طرقات أو إقامة أبنية مكانها . وهذه المساجد القليلة تظل مغلقة إلا في أوقات الصلاة حيث يحرص المسلمون على أداء صلواتهم في المساجد ، ولا تبالى الحكومة أن تلجأ إلى أية حيلة لهدم

المساجد وطرود موظفيها من غير أن تدفع لهم تعويضات .
وبلدة فيها مئتا مسجد هي بلدة إسلامية مئة بالمئة ، وكانت
قبل ثلاثين سنة فقط تعد خمساً وستين ألف نسمة جلهم من
المسلمين فأمرت الحكومة الشيوعية ، للقضاء على هذا المظهر
الإسلامي ، بتهجير مسيحيي القرى المجاورة إليها وفسحت لهم
المجال ليعيشوا فيها وأغدقت عليهم المساعدات من أموال
المسلمين ، ليعملوا فيها حتى تمكن لهم في الأرض ، فأصبحت
مدينة أسكوب تعد اليوم ٣٥٠ ألف نسمة عشرهم مسلمون
فقط وهم الطبقة الفقيرة المعوزة التي يدخرها الشيوعيون
للأعمال الشاقة الدنيئة التي لا يعملها المسيحيون أو الشيوعيون
إجمالاً ، لأن هؤلاء وأولئك هم أبناء السيدة والمسلمون أبناء الأمة .
والحكومة اليوغوسلافية تقول إنها لا تنظم المسلمين وقد تكون
صادقة ، من حيث إن قوانينها التي تعرفها تنص على عدم
التفريق بين المواطنين ، ولكنها في الواقع تظلمهم فعلاً وتحتقرهم
وتولي عليهم من يظلمهم وتكافح دينهم وتعمل على إبادتهم وعلى
هدر كرامتهم . فقد رأيت بعض أئمة المساجد في أسكوب
وكانهم متسولون لا بل كانوا يتسولون فعلاً وقد تصدقت عليهم
وسمعت منهم ما يفقت الأكباد ويهز الجماد .
ومررنا بمدينة بيتولا (١) فرأيت فيها مسجدين كبيرين

١ Pitola .

ولكنها مغلقات وعليها أقفال، مبالغة في منع الناس من دخولها . وقد رأيت أمام أحد المسجدين أي في مقبرة حرم المسجد قبوراً منها قبر المشير رشيد الباشا المتوفى في سنة ١٢٦٣ هـ . ويلقب بمشير الروملي . . وأكثر هذه القبور قد درست وبعثت شواهدا تمهيداً للاستيلاء عليها .

هذا قليل من كثير من حالة مسلمي يوغوسلافيا ولو تحرى المرء الحقائق لما وجد قرية من قرى البلقان إلا وفيها مسجد أو أثر إسلامي ولكن الشيوعيين آخذون بالقضاء عليها وإزالة آثارها ولا يبرزون للسياح إلا الوجه المسيحي والآثار المسيحية أو الشيوعية ، اللهم إلا ما لا يقدرّون على طمسه أو لم يقدرّوا على طمسه حتى اليوم ، وليست الاضطرابات التي حدثت في أواخر السنة الماضية واستمرت شهوراً وكادت تؤدي إلى فصل المناطق الإسلامية عن باقي البلاد إلا نتيجة لهذا الظلم الذي يقاسيه المسلمون من مواطنهم أو بالأحرى من رجال الحكومة ورجال الحزب الملحد . غير أن الشعب لن يسكت على الضيم ولا بد له من أن ينفجر لأنه وصل إلى حافة الهاوية وسنشهد هذا الانفجار يوم يتوارى وجه تيتو عن الأنظار وما هو بعيد .



الاتحاد السوفيتي

لما كان الاتحاد السوفيتي قد أغلق أبوابه في وجه السياحة الحرة فلا يسمح للمرء أن يدخل البلاد إلا عن طريق شركات السياحة التي تأخذ السائح من بلده وتنزله في بلد معين وتريه من المدن ومن الأماكن ما تريد أن تراه فقط من غير أن تسمح له بأن يتطلع ببصره إلى ما وراء ذلك ومن غير أن يعلم شيئاً بما يجري وراء تلك الأستار المادية والمعنوية التي تقيمها أمامه أو يعرف شيئاً بما يقاسيه أهل البلاد من ويلات وإحتنٍ ومصائب ومحن ، ولما كانت لا تسمح أيضاً لأبنائها أن يتكلموا لنسمع صوتهم وندرك بلوهم فقد ظل الاتحاد السوفيتي طيلة نصف قرن بلداً مجهولاً نسمع به ولا نعلم عن حقيقته شيئاً إلا ما يريد حكامه أن نعلمه . ونحن الذين تعودنا العيش في بلاد الحرية وتشرفنا بالاسلام الذي أطلق لنا العقل من عقاله ليخلق في أجواء الكرامة نرى في استبداد المرء بعقل أخيه وتفكيره إهانة للإنسانية ذاتها . وكنانظن ، قبل أن نزور بعض البلاد الشيوعية التي فتحت أبوابها للسياحة الحرة والتي أشرنا إليها

فما سلف ، أن الشيوعيين قد عادوا إلى صوابهم وانفتحوا للغريب ولكننا بعد أن رأينا البلاد الشيوعية ودرسنا أحوالها أو ما تسنى لنادر استه من أحوالها علمنا بأن هذا الانفتاح لم يكن انفتاحاً إنسانياً بل هو انفتاح اقتضته مصلحة البلاد الاقتصادية التي أصبحت تئن تحت نير الفاقة وتئن من الحرمان، وما عدا ذلك رأينا بأن الشيوعيين في بلادهم منطوون على أنفسهم ويحرمون بلادهم على المواطن نفسه بحيث لا يسمح لشيوعي أن ينتقل داخل بلاده من مدينة إلى مدينة أو من الريف إلى المدينة أو العكس إلا بإذن خاص ، ووجوده في البلد الذي ينتقل إليه خاضع للرقابة . والإذن بالانتقال لا يعطى إلا في حالات خاصة واضطرارية وبشفاعات قوية وفي كثير من الأحيان يرفض الطلب وحينئذ ينتقل الشيوعي من مدينة إلى مدينة ، داخل بلاده ، عليه أن يخبر الشرطة بمحل إقامته وأن يعود إلى بلده في نهاية الرخصة الممنوحة له . وأما انتقال الشيوعي من بلده إلى بلد شيوعي آخر فهو مثل انتقاله إلى بلد من بلاد الحرية والديمقراطية وقلمما تسمح الحكومات الشيوعية بمثل هذا الانتقال .

بعد كل هذا لا عجب إذا رأينا الشيوعيين يحظرون على أهل البلاد الحرة دخول البلاد الشيوعية لكي لا تهتك أستارهم وتفضح أسرارهم، وأرى بأن شأن الشيوعيين في أعمالهم هذه شأن

اللص الذي يخفي سرقة لكي لا ينفضح أمره ويؤخذ مجرمه وإلا لو كان عند الشيوعيين ما يباهون به أو ما كانت رؤيته لا تزعج الناس لكانوا فتحوا أبوابهم على مصراعها وقالوا للناس : تعالوا وانظروا ما عندنا واقتدوا بنا وافعلوا فعلنا ولكنهم يعلمون بأن ما عندهم مخازي لاتليق بانسان يحترم نفسه فيسترونها ويكتمونها .

ولما كان الاتحاد السوفييتي هو الوطن الأول للشيوعية وهو الذي يتولى كبر هذه الدعوة الصهيونية الاجرامية اللاأخلاقية واللاإنسانية . ويسعى إلى نشرها في بلاد العالم كله ، ولما كان الاسلام هو العدو الأكبر الذي ترهبه الشيوعية وتخشاه وتسعى إلى هدمه لتحل محله فسادها وإباحيتها وإلحادها ، كان لا بد لنا من إلقاء نظرة على هذه البلاد وعلى حالة المسلمين فيها لأن كتابنا هذا يظل ناقصاً إذا لم نفعل ذلك . ولما كنت لم أستطع زيارة الاتحاد السوفييتي زيارة حرة ، أدخله متى شئت من حيث شئت وأجتمعت بمن أريد وأتحدث فيما أريد كما هي حال السائح في البلاد الحرة الديمقراطية ، رأيت بأن أستعين بما كتبه الكتاب ممن تسنى لهم الاطلاع أكثر مني على حالة هذه البلاد إما لأنهم عاشوا فيها مراسلين صحفيين أو أساتذة أو دبلوماسيين ، أو أنهم رأوا الأمور بعقولهم فكتبوا عنها ، أو أنهم درسوها دراسة تاريخية واطلعوا من خلال كتب التاريخ فنقلوا ما قرأوا .

من الجدير بالذكر ، قبل أن نخوض في صلب الموضوع الذي نحن بصدده ، أن ننبه إلى حقيقة قد يحفلها كثير من الناس وهي أن العنصر الاسلامي في بلاد الاتحاد السوفييتي ليس عنصراً غريباً دخل البلاد فاتحاً ثم استقر فيها، بل المسلمون هم أهل البلاد وساداتها .

ففي القرن الثاني للهجرة دخل الاسلام الاتحاد السوفييتي واعتنقته أكثر القبائل التي كانت تسكن تلك الأقطار وظل فريق على وثنيته ، وعلى الرغم من فقدان الوحدة العرقية واللغوية بين هذه القبائل فقد اتحدت وتآخت بالاسلام وأصبحت قوة متراسة لا يربط بعضها ببعض الآخر إلا الاسلام ، فأنشأت ممالك وإمارات قوية وبنّت صروحاً علمية للحضارة والمدنية والعلم وظهر منها علماء أعلام يعترفهم العلم والاسلام ، وفي عهد هذه الممالك أخذ الاسلام ينتشر في البلاد حتى أصبح بالامكان أن يقال بأنها كانت بلاداً إسلامية قلباً وقالباً مظهرأ ونخبراً ثقافة وديناً ، ونستطيع أن نشبه روسيا في العهد الاسلامي باسبانيا، فكما أن اسبانيا كانت بلداً مسلماً على الرغم من وجود جاليات غير إسلامية فيها فكذلك كان شأن الاتحاد السوفييتي ، مع فارق واحد وهو أن أهل روسيا كانوا وثنيين بينما كان أهل اسبانيا مسيحيين ، ولم تدخل المسيحية البلاد الروسية إلا بعد أن دخله الاسلام بقرون، وحيث أن المسيحية في أوروبا شعرت بأنها محاصرة بالاسلام من الشرق

ومن الغرب والجنوب، وأن الاسلام أخذ يكتسحها رويداً رويداً . والناس يقبلون عليه برغبة ، فقد استيقظت النمرة المسيحية في أوربا ولا سيما بعد الحروب الصليبية ، وشن المسيحيون حملة مركزة على الإسلام شملت العالم كله ، وقد أصاب مسلمي روسيا ما يصيب كل امرئ يغفل عن رعاية مصالحه وينام عن تفقد شؤون نفسه ويستسلم للدعة والراحة والاطمئنان ظاناً بأن ما هو فيه من نعيم هو حق من حقوقه المكتسبة التي لا ينازعه فيها منازع ولا يقدر أن يسلبه إياها أحد من الناس ، غافلاً عن حقيقة أزلية أبدية وهي أن الارض لله يرثها عباده الصالحون . فبينما كان المسلمون يستسلمون للنوم الهنيء ويهملون شؤون أنفسهم كان المسيحيون يتأهبون للانقضاض عليهم فما كان منتصف القرن السادس عشر حتى نهضت الدولة الموسكوبية ، وهي إمارة مسيحية كانت تسيطر على موسكو وما حولها ، فعرفت بهذا الاسم أو باسم الدولة الموسكوفية . واستلمت زمام المبادرة وأخذت تدفع المسلمين عن مراكزهم إلى الوراء وتخضعهم لسلطانها فيخضع من يخضع ويفر من يفر ملتجئاً إلى البلاد الإسلامية ، وما جاءت نهاية القرن التاسع عشر حتى بلغت الجيوش الروسية الموسكوفية حدود الهند والصين وأزالت كل الدول الإسلامية واستعمرتها . لم تكن الحروب بين الروس والمسلمين حروباً سياسية بل كانت حروباً صليبية قامت عن أساس ديني ، كما حدث في

الأندلس، وما زال الروس منذ تلك اللحظة المشؤومة وإلى اليوم
وهم يسعون بالسياسة ذاتها عاملين على مكافعة الإسلام
وإبادة المسلمين .

فقد استولى الروس على مدينة قازان العاصمة التتارية ، والتي
كانت مركزاً لحضارة إسلامية عريقة ، ثم دمروها وجعلوا عالمها
سافلاً ، ثم إنهم استولوا على إمارة استراخان وأبادوا العناصر
القيادية فيها وطرّدوا أهلها من المدن الكبيرة وصادروا بمتلكاتهم
وأراضيهم الحصبة الكائنة في السهول وقرب الأنهار وأقطعوها
لنبلاء الروس وللكنائس وللأفلاحيين المسيحيين الذين أتوا بهم من
أواسط آسيا ، ثم تقدّم الروس واستولوا على مملكة سبير
الإسلامية التي يسمونها اليوم سبيريا وأنزلوا المسلمين منزلة المنبوذين
والمشردين بحيث لم يكن يحقّ لهم أن يتمتعوا بالمساواة النسبية
مع المسيحي الروسي إلا إذا ارتدوا عن دينهم واعتنقوا المسيحية .
ثم تابع الروس غزوهم في بلاد تركستان الإسلامية وكان رائدهم
في كل ما يفعلون تدمير الإسلام وإبادة المسلمين ومهادرة أراضيهم
وهي السياسة التي مارسها الشيوعيون وصاروا عليها ، وكذلك
كانت الحكومات القيصريّة تطرد المسلمين من مدنهم وقراهم
لتحل محلهم أقواماً آخرين وقد اقتدى بهم الشيوعيون منذ
الآن بالقدرة . فالسياسة الشيوعية ، إذن ، هي ليست سياسة مبتدعة
بل سياسة متبعة ، وهي سياسة تستهدف الإسلام عقيدة وكياناً .

لم يقبل المسلمون الذل والاندحار خانعين ولا امتسحوا

متخاذلين بل قاوموا الاعتداء وأهرقوا الدماء بكرم وسخاء
 وثاروا على الظالمين ثورات عديدة كان أشدها ثورة الامام المنصور
 ثم ثورة الامام محمد شامل ودامت هذه الثورات نحو ثلاثة أرباع
 القرن ولم يستسلم المسلمون إلا بعد أن عجزوا عن المقاومة أمام
 أساليب الروس الوحشية ، ولكنهم كانوا باستسلامهم كالباحث
 عن حقه بظلمه ، إذ إنهم أثناء المقاومة كانوا يموتون
 مئة الأبطال فأصبحوا بعد الاستسلام يموتون مئة الجيف إذ إنهم
 تعرضوا للإبادة شاملة ، وبالتالي فقد انتصروا يوم كانوا مسلمين
 وكانوا يروث في الجهاد إحدى الحسينين وذلوا يوم أهملوا أمر
 الاسلام وما زالت السكين تعمل في رقابهم منذ قرنين .

والسياسة التي يتبعها الشيوعيون ، اليوم ، إزاء المسلمين هي
 السياسة التي كان يتبعها القيصرية فيما مضى ولكن على نطاق أشد
 تعسفاً ووقاحة . ويقول المؤرخون بأن الروس ، زمن القيصرية ،
 نظموا حملات واسعة النطاق لتنصير المسلمين ، وفي الفترة التي
 امتدت من سنة ١٧٣٨ الى سنة ١٧٥٥ هدم الروس في بلاد قازان
 وحدها ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ مسجداً وأغلقوا كل المدارس
 الاسلامية وفتحوا بدلاً عنها مدارس تبشيرية أو لمقاومة الاسلام ،
 واستولت الحكومة على أوقاف المسلمين ، ولتشجيع التنصر أعفت
 الحكومة المرتدين عن دينهم من دفع الضرائب ومن الخدمة العسكرية
 وزيادة في الجور والأذى والاعنات حملت ما يصيب المرتدين من

ضرائب على أعناق المسلمين، وكانت العقيدة الاسلامية جريئة يعاقب عليها بالاعدام .

وكانت الحملات تشتد وتخف بحسب الظروف وميول الحكام واتجاه السياسة العامة من عالمية ومحلية كما هي الحال عند الشيوعيين اليوم تماماً، وكان التاريخ يعيد نفسه إذ بعد أن أوقفت الحملة على المسلمين زمن الملكة كاترين الثانية تجددت الحملة عليهم في عهد اسكندر الثاني ولكن بطرق جديدة وأساليب حديثة، فمن ذلك أن قام المبشر نيقولا المنسكي ، سنة ١٨٦٣ ، بوضع سياسة تعليمية جديدة وذلك بإنشاء مدرسة دار المعلمين خاصة بالمتنصرين على أن يقوم هذا الفوج ، من أولاد المرتدين . بعد تخرجهم من المدرسة بالتبشير في الأوساط الاسلامية لحمل المسلمين على التنصر . وطريقة الاعتماد على الأجيال الصاعدة طريقة لجأت اليها الشيوعية كما تلجأ اليها كل الأحزاب العقيدية الحديثة التي سارت في ركاب روسيا الشيوعية أو تشبهت بها .

وقد أعجبت الحكومة القيصرية بفكرة المبشر المنسكي وأيدت حملته التي نجحت الى حد بعيد إذ ارتد عن الاسلام بالتوغيب والترهيب نحو مئة ألف مسلم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . غير أن ارتداد هذا العدد الضئيل بالنسبة الى عدد المسلمين الروس لم يكن كافياً للتأثير على المسلمين بل أيقظ حماسهم وفتح عيونهم على النيات المعادية التي كان يضرها لهم الروس ، ولذا فقد رأت الحكومة القيصرية إمعاناً في إضعاف المسلمين أن

تفرقهم وتباعد بينهم ولم يكن لديها إلا العرق واللغة تلجأ إليهما
لباوغ هذه الغاية وقد فعلت ولكنها لم تنجح، وجاءت الشيوعية
للكي تكمل الشوط الذي قصرت فيه القيصرية ولجأت الى سياسة
تفتيت الجماعة الاسلامية اقائمة على مجتمع إسلامي تركي وأقامت
على أنقاضه مجتمعات إقليمية ولغوية وعرقية فجاء عملها اعتبارياً
لا يقوم على علم ولا منطق ولا تاريخ لأن تنفيذ هذه السياسة كان
يقتضي خلق لغات مكتوبة لكل قوم وخلق تاريخ وخلق ماض
وهذا كله غير موجود فعهد الشيوعيون الى سياسة إجرامية ترمي
الى استئصال الاسلام من جذوره وذلك بنشر الإلحاد واعطاء
الفكرة الشيوعية الصهيونية صفة الدين حتى اذا خرج المسلم عن
دينه ورأى أن الإلحاد لا يشبع نهم روحه صرفوه الى الشيوعية،
ولكن اليقظة الاسلامية العالمية أفسدت على الشيوعيين خطتهم
هذه ولم تنجح الشيوعية في مساعيها الضالة الا بمقدار ضئيل بما
جعل صاحب كتاب (الاسلام في الاتحاد السوفيتي) يقول :
بما يجب أن يدرسه الدارسون هو كيف استطاع المسلمون في
الاتحاد السوفيتي أن يحافظوا على دينهم ونمط حياتهم ، في ظل
نظام لا يخفي ازدراءه لهذه الشعائر القديمة كما أنه لا يخفي إصراره
على القضاء عليها . ويضيف قائلاً : قد يمكن أن تكون أيام الجهاد
المقدس قد مضى وقتها ولكن الطبقة المثقفة من الشبان المسلمين
السوفييتيين ، وهم غرسة الشيوعية ، يقاومون الشيوعية ، اليوم ،
مقاومة أكثر مرونة وأبعد مهارة وأشد صلابة بما كان يتوقعها

الروس أنفسهم . وان السلطات السوفيتية تشعر بهذه المقاومة الصامتة ذات الطابع الاصراري ولكنها لا تفهمها فهماً تاماً ، وهي ظاهرة خليقة بأن تدرس وأن تحلل لأنها وإن كانت أقل شأنًا وأهمية من مسيرة الظفر التي شنتها الجيوش العربية والعثمانية إبان عصر الاسلام الزاهر وعظمته الدنيوية الا أنها تبرهن بصورة جازمة ، على حيوية الاسلام وشدة مقاومته وقد تكون لها ، على مرور الزمن ، نتائج عملية باهرة .

هذا ما قاله صاحب كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» وهو قول عالم بعيد النظر وخليق بنا نحن المسلمين ، قبل غيرنا من الناس ، أن نولي هذا القول كل عناية وانتباه لأن بقاء المسلمين وبقاء الاسلام ، رغم تكالب العالم عليهم وعليه ورغم ما مر بهم وبه من مؤامرات وما تعرضوا وتعرض له من حملات أمر بلفت النظر ويوحى بأن الذي يحمي الاسلام والمسلمين هو الله وحده حتى ولو انعدمت الأسباب الظاهرة ، إذ لو تعرض غير الاسلام لما تعرض له الاسلام ، منذ ١٤ قرناً وإلى اليوم ، لأصبح أنثراً بعد عين بينا الواقع هو العكس اذ نرى المسلمين يزدادون تعلقاً بدينهم والاسلام يواجه أكبر التحديات العلمية والعقلية وينتصر عليها وعلى الملحدن والمغرضين .

وإذا كنا رأينا ، فيما سلف ، ونحن نتكلم عن حالة المسلمين في أوروبا الشرقية وكيف يتعرضون للظلم والتعذيب والتنكيل والارهاق ، فإن ما يتعرضون له هو نتائج لأسباب معينة وهذه

الأسباب صادرة عن مركز الشيوعية الرئيسي ونعني به موسكو أو الاتحاد السوفيتي ، فهو يضع الخططات ويأمر بتنفيذها في جميع المستعمرات الشيوعية وهو المسؤول عن كل ما يجري في العالم من فساد . وإذا ما علمنا بأن الشيوعية هي وليدة الصهيونية أو هما صنوان أدر كنا أن ما يقاسيه المسلمون في البلاد الشيوعية إنما هو بتدبير الصهيونية العالمية ولذا فإن ما ذكرناه ، فيما سلف ، عما يقاسيه المسلمون في بلاد أوروبا الشرقية الخاضعة للنفوذ الروسي سياسة واقتصاداً وعقيدة ، إنما هما جزء يسير مما قاساه وبقاسيه المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، البلاد الشيوعية الأم ، لأن روسيا تعيش وراء ستار حديدي لا يعلم أهل البلاد بما يجري فيها فكيف بالبلاد البعيدة عنها .

وعلى الرغم من أن الشيوعيين الروس ينككون عداؤهم للمسلمين ويتظاهرون بالتودد إليهم فإن الوقائع وتاريخ الشيوعية وآسئها وآثامها تكذبهم . وكيف نستطيع أن نصدق أقوالاً معسولة يبذلها الشيوعيون في مناسبات خاصة ونحن نعلم علم اليقين أن الشيوعية عدوة الدين وأن أول هدف للشيوعيين هو مكافحة الدين والقضاء عليه وأن هذا العداوة هو مبدأ من مبادئ الشيوعية المألدة الذي لا تستطيع أن تتزحزح عنه وإلا فإنها لا تكون شيوعية ! وما نحن نذكر نبذة تاريخية عما تقلب فيه الإسلام والمسلمون في العهد الشيوعي في روسيا :

قام الشيوعيون بالثورة واستلموا الحكم في روسيا وهم

يعلمون ماذا يريدون أي أن برناجهم كان مخططاً ومرسوماً ولا يحتاج إلا للتنفيذ ، وكان إفناء المسلمين والقضاء على الإسلام في رأس قائمة الأعمال التي بنوونها لأن الشيوعية هي بنت اليهودية الفاجرة واليهود يعلمون بأن المسيحية لا تستطيع أن تقف تعاليمها وتاريخها أمام اليهودية لأنها هي ذاتها فرع من اليهودية وتشريعها هو التشريع اليهودي ذاته ولكنهم يخشون الإسلام لأنه هو الدين الوحيد الذي يستطيع أن يقف في وجه اليهودية وغير اليهودية من الديانات والعقائد أو من الأديان السماوية ومن الأديان الأرضية .

وحيث إن اليهود يعلمون أنفسهم بأن يحكموا العالم ، في يوم من الأيام ، ولما كانوا لا يقدرّون أن يحققوا هذه الأمنية ما دام الإسلام قائماً ولذا فانهم جعلوا هدفهم القضاء على الإسلام أولاً ، غير أنهم لم يكونوا يتظاهرون بهذه النية ولا هم يتظاهرون بها الآن وقد اتخذوا الشيوعية درعاً لهم لكي تنقل العالم من الدين إلى الإلحاد ثم متى قطعوا هذه المرحلة عادوا ونقلوا أهل الأرض إلى الدين وحيث ان المسيحية فرع من اليهودية ولذا فمن البدهي أن يقبل المرء الأصل ما دام الفرع تابعاً له . وان فكرة الشيوعية باتت دولة لئال العالم إنما هي ستار لدولة امرا ئيل العالمية التي يحلمون بها . وعلى الرغم من أن الشيوعيين لا يفكرون أنهم ملحدون فانهم يقولون بأن إلحادهم هذا لا يعني الا أنفسهم وهم لا يبالون بأن يظل غير الشيوعيين متمسكين بدينهم أو بالأحرى انهم يقولون إنهم يحترمون عقائد الناس مهما كانت . وكيف

يستطيع أن يحترم شيئاً من لا يؤمن به ويعاديه ويكافحه؟ غير أن الشيوعية القائمة على الكذب والنفاق لا تبالي بأن تقول ما لا تفعل وأن تفعل خلاف ما تقول ولذا فإن أول أهداف الشيوعية كان مكافحة الاسلام والمسلمين وأول ما فعلوه في هذا المضمار هو أنهم لجأوا الى أمور تساعد على تفريق شمل المسلمين ولكي يبلغوا هذه الغاية انتزعوا المسلمين من الوسط الاسلامي الذي كانوا يعيشون فيه بكل مقوماته ويشد القبائل بعضها إلى البعض الآخر وجعلهم أشتاتاً ، ففي الوقت الذي يسعى فيه العالم كله إلى التقارب بين الأقوام بإيجاد قومية واحدة ، كما يفعل الشيوعيون أنفسهم ، وإيجاد لغة واحدة جامعة أو بضع لغات محدودة فقط خالق الشيوعيون للمسلمين الروس من لهجاتهم المحكية لغات مكتوبة لتزيق شملهم .

لقد كان التتر ، قبل الثورة الشيوعية ، أقوى عنصر اسلامي في روسيا وكانت لهم لغة ذات آداب رفيعة وماض بعيد وكانوا أمة ذات كيان وتاريخ ، فلما نشبت الثورة ورأى الشيوعيون أنهم بحاجة إلى المسلمين وإلى مساعدتهم ومساندتهم لإجساح الثورة طلبوا عونهم ووعدوهم بإقامة دولة تنزية بشكيرية ، فسار المسلمون في ركاب الثورة حتى كتب لها النصر . غير أنه لما تثبتت دعائم الثورة تذكرت حكومة موسكو ، سنة ١٩١٩ ، موعدها في جمع المسلمين في أمة واحدة ودولة واحدة وأقامت جمهورية بشكيرية

في بلاد لا يوجد فيها من البشكيويين إلا ٢٥ ٪ من مجموع السكان
ثم إنها أقامت جمهورية تتوية . ويطلق الروس اسم جمهورية على
جميع مستعمراتهم والبلاد الخاضعة لهم بغية التضييل امام الناس
ولأن كثرة هذه الجمهوريات ينفع الروس في المحافل الدولية إذ
يكون لكل جمهورية منها صوت مستقل . وبعد أن خلق الروس
الجمهورية البشكيرية اضطروا إلى خلق لغة بشكيرية وضعوا
مبادئها سنة ١٩٢٣ على أسس لهجة تتوية قديمة وعلى الرغم من أن
هذه اللغة قد خلقت إلا أنها لم تتم وما زالت مخلوقاً ناقصاً ولد في
غير أوانه .

ولكي يضعف الروس التتو الذين يمثلون الوجه الإسلامي في
روسيا فقد كافحوا لغتهم وثقافتهم وبعد أن كان يوجد عندهم حتى
سنة ١٩٣٥ مثنان وثلاثي جرائد يومية تصدر كلها باللغة التتوية
وتغطي البلاد من أوكرانيا حتى أقصى الشرق الروسي فقد أخذ
هذا العدد يتناقص بفعل الدعاية الروسية وتصديع الجبهة التركية
المسلمة فهبط هذا العدد في السنة ذاتها إلى ٧٩ صحيفة وهبط سنة
١٩٣٦ إلى ٤٤ صحيفة وظل يهبط بسرعة حتى لم يبق سنة ١٩٥٦
من كل هذه الصحف إلا ٣٨ صحيفة وحل محل الجرائد الإسلامية
التركية ، التي توارت تحت ضربات حقد الشيوعية ومؤامراتها ،
جرائد روسية إحادية تصدر باللغة الروسية وتحمل الفكرة الشيوعية
ولست أدري هل يوجد اليوم في كل تركستان جريدة تركية
مسلمة أو لا يوجد .

وكانت طريقة مكافحة الجرائد التثريب المسلمة طريقة غاشمة
إذ حرمت الحكومة على موظفيها وعملها والنقايين قراءتها أو
تداولها ولما كانت أكثرية الشعب من هذه الفئات فقد
أخذوا يرفضون شراءها حرصاً على بقاء لقمة العيش فأفلست
وأغلقت أبوابها .

وبعد أن قضى الروس الشيوعيون على الصحافة التثريبية اتجهوا
نحو المدارس الوطنية فأغلقوها بحيل شتى فقطعوا بذلك أوصال
المسلمين ثم إنهم تمادوا في هذا العداء وبالغوا في تفتيت الجبهة
الإسلامية في روسيا فاعترفوا سنة ١٩٣٠ لداغستان بأحدى عشرة
لغة رسمية فكان من نتيجة إيجاد هذه اللغات الكثيرة أن قضوا
عليها كلها وأحلوا محلها اللغة الروسية .

وحينما نشبت الثورة استعان الشيوعيون كما أسلفنا ، بالمسلمين
أو بالأحرى بما كانوا يسمونهم بالاقطاعيين والبورجوازيين ورجال
الدين المسلمين لكي يضمنوا تأييدهم فلما استتب للثورة الأمر أقصوهم
سنة ١٩٢٤ ، عن الحكم ونبدوهم ، وفي سنة ١٩١٨ جرد الشيوعيون
حملة قتل وإرهاب على المسلمين فأفنوا منهم عدداً كبيراً واستمرت
هذه الحملة حتى قبيل الحرب العالمية الثانية ، فلما نشبت الحرب عاد
الروس إلى استرضاء المسلمين لكي يستعينوا بهم لدفع الألمان ثم
لما انتهت الحرب جازوهم جزاء سنار وشنوا عليهم حملة إبادة
وحشية إذ نقلوا أهل أوكرانيا إلى أواسط روسيا فهلك بعضهم في
في الطريق جوعاً وعطشاً وتعباً وهلك آخرون في دار هجرتهم

وأهلك الشيوعيون قسماً كبيراً بعد ذلك بحيث أنه لما سمحت الحكومة المركزية ، بعد موت ستالين ، للبقية الباقية من هؤلاء المشردين بالعودة إلى ديارهم لم يكن بقي منهم واحد على مئة من الذين شردوا وعادوا إلى بلادهم ليروا أنفسهم مشردين ثانية إذ استولى الشيوعيون على منازلهم وأملأهم وحرموهم منها ولم يجدوا عملاً يعملونه ليعيشوا فتساقطوا أمام هذه المآسي وانقرضوا . وفي باقي البلاد الروسية لاقى المسلمون من الظلم والهوان والعسف والحسف مما لا يستطيع وصفه إلا من عاينه .

والحمة على الإسلام، في روسيا، تشتد وتخف على قدر حاجة الشيوعيين إلى المسلمين أو استغنائهم عنهم وعلى قدر حاجتهم إلى الدعاية في البلاد الإسلامية ولكن الهدف واحد لا يتغير لأن الشيوعيين مجبرون بـرجب عقيدتهم على مكافحة الإسلام مكافحة دائمة ، وإذا كانوا فيما مضى لا يصرحون بهذه الحقيقة فإنهم منذ عشرين سنة وإلى اليوم يعلنون ذلك صراحة ومن غير مواربة قولاً وكتابة ، وقد كتبت الموسوعة السوفيتية في طبعته ١٩٥٣ بهذا الصدد نقول :

« لما كان الإسلام سلاحاً في أيدي الطبقات المستغلة ووسيلة في أيدي المستعمرين الأجانب للضغط على العمال لاختضاع الشعوب الشرقية فقد لعب هذا الدين دوراً رجعياً ، والزعماء الشيوعيون متفقون الآن على مكافحة الإسلام بطرق مختلفة ومتنوعة شريطة أن تكون مرنة ولبقة ولذا فإننا نرى بأن سياسة الحزب تجاه

المسلمين كانت في سنوات الثورة الأولى ، سياسة مذبذبة متروكة ولكنها بعد ذلك أصبحت سياسة واضحة صريحة إذ اعتدى الشيوعيون على المساجد فامتنعوا وصادروها ثم عدوا المئات منها والقوا القبض على علماء الدين وقتلهم رمياً بالرصاص من غير ذنب أو جرم إلا أن يقولوا ربنا الله لا لينين أو ستالين .

وقال زعماء الشيوعية : علينا أن نكافح الإسلام بطرق مختلفة ومتنوعة ولكن يشترط أن يكون كفاحنا مرناً ولبقاً بحيث نسلب المسلمين دينهم من غير أن يشعروا بذلك .

ففي السنوات الأولى للثورة كانت سياسة الحزب تجاه المسلمين سياسة مذبذبة ومتروكة وكانت عداوة الحزب للمسلمين يقوم على ثلاثة أمور هي :

١ : إلغاء الوقف على اعتبار أنه قوة مادية في يد رجال الدين
٢ : إلغاء المحاكم الشرعية لأنها تعطي المسلمين سلطة على حياتهم اليومية وتقوي كياناتهم .

٣ : إلغاء المدارس الإسلامية لأن التربية المدرسية هي أساس حياة الإنسان فإذا كانت تربية صالحة قائمة على التقوى والصلاح صعب إفسادها .

وحينما نتحدث عن الأوقاف الإسلامية في روسيا نحب أن نسلّم بأنها الحديث عن البلاد كلها لأن أوقاف المسلمين في القرم والقوقاز وآسيا الوسطى ، كانت سنة ١٠١٧ ، عبارة عن ثمانية أعشار الأراضي المزروعة في البلاد المذكورة أو بمعنى آخر أن الأوقاف

كانت الحكومة الحقيقية ، فمصادرة الشيوعيين لمثل هذه المساحات الشاسعة الحصة التي كانت تدر خيرات حسان على المسلمين فيقيمون بها المستشفيات والمستوصفات والمدارس ودور العجزة ويساعدون الفقراء والمحتاجين ويسعفون كل مسلم محتاج ، أو بمعنى آخر أن المسلمين كانوا بأوقافهم في غنى عن كل عرن حكومي لا بل كانت الحكومة بحاجة إلى عونهم وحيث أن المال عصب الأعمال ولذا فقد رأى الشيوعيون سلب المسلمين هذه القوة فسلبوها منهم وحرموهم من ثرائها وبعلمهم هذا قتلوا كل حركة اسلامية خيرة كانت تقوم في البلاد وأوهنوا القوة الإسلامية وفي سنة ١٩٢٤ طعن الشيوعيون المسلمين في صميم عقيدتهم إذ إنهم منعوهم بما أباحه لهم دينهم من أمور ثم إنهم انتقلوا من السلبية إلى الإيجابية وأعلنوا عداؤهم للإسلام وأخذوا يكافحونه ويقضرون على مظاهره ومن ذلك أنه كان سنة ١٩١٢ في الاتحاد السوفيتي ، باستثناء نجارا وخيوه ، ٢٦٠٢٧٦ مسجداً يقوم عليها ٥٣٣٩٠ رجل دين بين إمام ومؤذن . وكانت الحكومة القيصرية لا تساعد المسلمين ولكنها لم تكن تتدخل في شؤونهم الدينية تدخلاً مباشراً ولا في إدارة أملاكهم الوقفية بل كانت تقف منهم موقف الحياء لا عليهم ولا لهم وأما الشيوعيون فانهم كانوا مضطرين بموجب تعاليمهم الشيوعية إلى محاربة الإسلام عدوهم الوحيد ، وقد عمدوا إلى ذلك بطرق مختلفة منها برامج التعليم والدعاية العلمية وعند الحاجة اتخاذ تدابير إدارية أو بوليسية .

وقد قاد الشيوعيون الحملة ضد الإسلام عن طرق كثيرة منها مدارس الكومسومول وجمعية لا إله، أي جمعية منكري الإله التي تأسست سنة ١٩٢٥، وقد اتسع نطاق هذه الجمعية واكتسعت هذه الحملة البلاد الروسية الإسلامية كلها وصار أتباعها يعرفون باسم (الله سزlr) أو (ين سزlr) أو (خدا سزlr) والكلمات الثلاث تعني جماعة (منكري الله) أو جماعة (لا إله) . ولم تكن هذه الجمعية حتى سنة ١٩٢٧ نغم إلا نحو ١٤٠٠ نسمة أكثرهم من غير المسلمين فارتفع هذا العدد سنة ١٩٢٨ إلى ٤٠٠٠ نسمة ثم أخذ هذا العدد يزداد بسرعة حتى بلغ سنة ١٩٤٢ نحو ٧٠٠٠٠ نسمة وانتشر هذا المذهب الإلحادي في كل البلاد الروسية المسلمة ولست أدري كم ندد أتباعه اليوم .

ويمكن اعتبار كل هؤلاء الملحدين أدوات لنشر الإلحاد وتقوية جمعية منكري الدين التي أصبح لها فروع في كل البلاد الإسلامية الروسية . وقد بدأ الشيوعيون دعايتهم ضد الإسلام بصورة لبقة إذ أخذوا يحملون ، في بداية الأمر ، على المذاهب والعادات التي ليست من الإسلام في شيء ولكنها ألصقت بالمسلمين فنسبت إلى الدين وقد وجدوا تجاوباً عند عامة الشعب الذي يكره هذه العادات ويتألم من وجودها مثل الحفلات التي تقام في الأفراح والتي تقام في المآتم وتكلف مبالغ باهظة وغير ذلك من العادات الوثنية التي ألصقت بالإسلام ، وبعد أن تمكن دعاة الإلحاد من فرض وجودهم على المجتمع أخذوا يحملون على رجال الدين ويصبون

جام غضبهم عليهم متهمين لهم بالجهل والدجل ثم تمادوا في غيهم بقدر ماتسمع لهم به الظروف وبقدر ماتسمع لهم به غفلة المسلمين أنفسهم وتغاضي السلطات عنهم . وعلى أثر ذلك أخذت السلطات تطارد المسلمين على اعتبارهم أعداء الثورة ثم بعد سنة ١٩٣١ أخذت تطاردهم على اعتبارهم جواسيس يعملون لحساب اليابان و ألمانيا الهنارية ، واغتنت روسيا فترة الإرهاب هذه ومنعت المسلمين من أداء فريضة الحج وفريضة الزكاة وحملت على فريضة الصيام حملات عنيفة مدبرة ومر كزة ، وتدرجت إلى أن شنت حملة على المساجد مطالبة باغلاقها فأغلقت الكثير منها وجعلت من بعضها نوادي للسمر ودوراً للسبنا وملاهي لاتزال كذلك بعد أن أزال عنها معالمها الرئيسية ، وكان من نتائج هذه الحملات والإرهاب الذي رافقها أنه لم يبق من الآف المساجد التي كانت موجودة في الاتحاد السوفيتي غير ١٣١٢ مسجداً ولست أدري كم عدد المساجد الموجودة الآن وهي ولا شك دون ذلك بكثير .

هذا بعض ماجرى في روسيا السوفيتية وهو مازال جارياً فيها وهذه بعض الأعمال اللاإنسانية التي لجأت اليها الشيوعية للقضاء على الإسلام ولذا فانتا لانعجب لما رأينا في البلاد الشيوعية الأخرى أو سمعنا عنها لأن مايجري فيها هو جزء ضئيل بالنسبة إلى مايجري في البلاد الشيوعية الأم وهو أيضاً تنفيذ لأوامر موسكو، ولكي نكون منصفين نقول بأن ما قاساه المسلمون في البلاد الشيوعية وما يقاسونه من أنواع العذاب والاضطهاد والذل والفقر والإرهاب

والإعنات إنما هو دون ما يقاسيه المسلمون في روسيا بالذات لأن
البلاد الشيوعية أو التي ابتليت بالشيوعية إنما تنفذ أوامر موسكو
من غير أن تكون لها وجهة نظر أو أن تكون ناقمة على المسلمين
في بلادها ، بينما الذي يجري في روسيا يجري بروح من الحقد
والانتقام والغضب وأنه في اليوم الذي تلفظ الشيوعية أنفاسها
الأخيرة في روسيا ينتهي كل شيء لأنه لا يوجد في العالم شيء اسمه
الشيوعية يعتقد أنه أناس على علم وخبرة ويقرن بل يوجد حكومات
اتخذت الشيوعية سلاحاً للاستيلاء على الحكم وتسخير الناس في
سبيل أفراد قصر بهم حظهم عن الوصول إلى الحكم بالطريق
المشروع فاغتصبوه بقوة الحديد والنار وهذا لا يدوم ولا بد من
أن تنجلي هذه الغمة ويعود الناس إلى صوابهم .



بلاد مجرولة

بالاضافة إلى البلاد التي فرضت عليها موسكو الشيوعية واستعمرتها وهي تعبت بها فساداً والتي أسلفنا الحديث عنها هناك بلاد أخرى تقاسي من العناء والشقاء الشيء الكثير وهي بولونيا ألمانيا الشرقية استونيا ليتوانيا ليثونيا فنلندا وألبانيا وكلها بلاد استعمرتها روسيا وفرضت عليها سلطتها وسلطانها وجبروتها وسيرتها في ركبها باستثناء ألبانيا التي شقت عصا الطاعة بوجه موسكو بعد موت ستالين ، وما ذكرناه عن شقاء بلاد البلقان تقاسي هذه البلدان مثله أو أكثر منه بأيدي الشيوعيين وفي كل هذه البلاد إخوان لنا من المسلمين يسامون سوء العذاب ويمتحنون بدينهم وإيمانهم وأخلاقهم وهم يكافحون جهد المستطاع ولكن بلا جدوى ولعل أسوأ هذه البلاد حالاً هي ألبانيا لأنها بلد إسلامي مئة في المئة وهي من البلاد المعروفة بالعزة والكرامة والنجدة وتمسك أهلها بالآيمان وقد تولى رئاسة الوزارة العثمانية عدد من الألبانيين كانوا مثال الصدق والاخلاص والحزم والعزم وتولى قيادة الجيوش العثمانية

فريق كبير منهم فكانوا مثال البطولة والإخلاص ويقول بعض المؤرخين إن كلمة أرناؤوط التي هي مرادفة لكلمة ألباني هي تحريف جملة «عار أن نعود» ويقولون إن سبب هذه التسمية هو أنه لما استولى العرب عليها تكالبت عليهم الأمم الوثنية المحيطة بهم فتشاور القادة فيما بينهم واقترح بعضهم ترك البلاد والانصراف عنها فقال آخرون : عار أن نعود وثبتوا فسموا أرناؤوط . وقد عرف الشعب الأرناؤوطي بالنجدة والحمية ورباطة الجأش وشدة البأس وعاشت هذه البلاد مدة مستقلة ومدة تابعة للدول المجاورة ، ومنذ سنة ١٩٤٦ ، بعد أن تحررت من نير الاستعمار الطلياني أصبحت جمهورية شعبية ديمقراطية أي مستعمرة شيوعية تأتمر بأمر موسكو مدة ثم إنها تأتمر بأمر بكين بعد ذلك وهي تسير ، منذ جلاء الطليان عنها ، بزعامة الشيوعي المتطرف أنور خوجة .. وهو يمثل أسوأ نظام عرفته الشيوعية فهو ديكتاتور عنيد وشبيه بستانين مع فارق واحد هو أن ستالين كان متسلطاً على بلاد طويلة عريضة بينما بلاد أنور خوجة بلاد صغيرة ، كان عدد نفوسها قبل الشيوعية ، مليوني نسمة فأصبحوا بعدها دون ذلك والسبب في ذلك فرار الألبانيين من جور أنور خوجة ، ويفر الناس بالآلاف من البلاد فنهم من يقصد فرنسا أو بلجيكا حيث يعيشون باطمئنان ولا يرغبون بالرجوع إلى بلادهم . وإذا كان كل الشيوعيون قد جعلوا من البلاد التي استولوا عليها مزارع

لهم ليستغلوها على هواهم فإن استثمار أنور خوجة لبـلاده
واستثماره بخيراتها وضبطه الجائر لأموورها كل أولئك لامثيل
له في الظلم والجور . ففي ألبانيا :

لا يجوز الكلام والناس عبيد

ولا يجوز السؤال أذلاء

ولا تجوز الشكاية عليهم أن يعملوا وأن يطيعوا

ولا يجوز الطلب طاعة عمياء

ولا يجوز الرفض أن يعيشوا كما يفرض عليهم

ولا يجوز إبداء الرأي الحزب أن يعيشوا

وبالتالي أن يعبدوا أنور خوجة من دون الله .

والبلاد الألبانية مغلقة في وجه السياح ولكن أبوابها مفتوحة
لمن يريد أن يفر منها . وعلى الرغم من القبضة الحديدية التي فرضها
أنور خوجة على البلاد وعلى الرغم من مظاهر الاتحاد التي يمارسها
ويدعو إليها فإن الناس فيها مازالوا متمسكين بدينهم حريصين
على أداء فروضهم الدينية وهم لا يفرون من الفقر والفاقة فقط
بل إنهم يفرون بدينهم وإيمانهم ، وما زال الألبانيون نموذجاً
يحتذى بالصبر على المكاره وبقوة الإيمان .

هذا موجز عن حالة البلاد التي فرضت عليها الشيوعية
والتي تقاسي من ويلاتها ما لا يخاطر على بال .



الخاتمة

إن ما ذكر في هذا الكتاب من أمور تتنافى مع مفهوم الإنسانية والحرية إنما هو صورة مصغرة وسطحية لما يقاسيه المسلمون في البلاد الشيوعية أو هو أشبه بالصورة الفوتوغرافية فكما أن الآلة لا تستطيع أن تنفذ إلى ما وراء السطوح الظاهرة التي تقع تحت البصر لكي تكشف لنا عن حقيقة الصورة وماهيتها فأنا أيضاً لم أستطع فيما كتبت أن أتجاوز هذا الواقع من الظاهر لأن معرفة ما وراء السطوح يحتاج إلى بحث ودرس وتنقيب وسؤال ومعايشة ، وبالتالي بأن يحيا المرء حياة القوم في كبيرها وصغيرها وحرها وبردها وبؤسها ونعيمها ، إذا كان يوجد نعيم في البلاد الشيوعية ، لكي يصاب بما يصابون به ويقاسي ما يقاسونه ويتحمل ما يتحملونه وغير بالأحداث التي يمرون بها حتى يعرف حقيقة ما لهم فيصورها تصويراً دقيقاً ويشرحها شرح خبير عالم لا يفادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها ، وهذا ما لم يتيسر لنا ولم نكن

قادرين عليه في بحر الأسابيع القليلة التي قضيناها في تلك البلاد البائسة اليائسة . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك قلبه ، وحيث أن كتابي هذا هو الأول من نوعه فلاني أعرض فيه ما سمعته من أقوال وما شاهدته من أحوال وهو القليل القليل من الكثير الكثير ولكنه كالمصباح يضيء الطريق لمن يريد سلوكه ويعطي الفكرة ولو عابرة عما يقاسيه المسلمون في ظل النظام الشيوعي . وإذا كنت أخص المسلمين فذلك بسببين : الأول لأنهم هم أكثر ظلاما من غيرهم ، والثاني لأنهم إخواني وليس من يدافع عنهم ، وأما غيرهم فعندهم من الأفراد والجماعات الكثير ممن يدافع عنهم أو يروي قصتهم ، وأما المسلمون في البلاد الشيوعية شأنهم في غيرها من البلاد ضائعون لا يسأل عنهم أحد ولا يسمع صوتهم نذير .

ولني إذ أبدأ بفتح هذا الباب أرجو من جميع الكتاب والأدباء الذين يزورون هذه البلاد أن ينحوها شيئا من عطفهم الإنساني وأن يفكروا باخوانهم المعذبين وأن تكون لهم من آلامهم عبرة والحياة كلها عبر .

نعم ، إننا لا نستطيع معها بلغت فينا القدرة على تصوير الوقائع أن نجعل القارئ يشعر بألم السوط الذي يهوي على ظهر البريء ولا بقسوة الحرمان الذي يقاسيها ابن النعم ولا بل العبودية التي يتحملها الأحرار في البلاد الشيوعية بل لابد من أن ينزل السوط على البدن وأن يبتلى المرء بطعم

الحرمان وأن يصاب بالعبودية ليدرك هذه المآسي ، وهذا ما قاله لي أحد الشيوعيين عن سوء حاله إذ قال : إنكم لا تشعرون بما نقاسي لأنكم لاتعانون ما نعاني . فأنتم لم تجوعوا لتدركوا ألم الجوع ولذة الشبع على الوجه الآثم ، ولم تسلب أموالكم لتقدروا حياة الأمن حق قدرها ، ولم تحرموا الحرية لتعرفوا قيمتها ولا مست كرامتكم لتعلموا معنى الكرامة على وجهها فالأشياء تقاس بأضدادها ولا بد لمعرفة الأشياء على حقيقتها من معرفة أضدادها .

وحاصل القول أن كل ما نستطيع أن نقوله بهذا الصدد هو أن الناس كلهم ، بصورة عامة ، والمسلمون منهم ، بصورة خاصة ، معذبون مضطهدون مظلومون ، في ظل النظام الشيوعي ، فقد سلبوا الحرية والمال والكرامة وأنهم يعيشون عيشة خير منها عيشة الرقيق في الأزمان الغابرة .

إن ما يقرؤه القارئ في هذا الكتاب إنما هو صورة ليس فيها خيال شاعر ولا عاطفة محب عاشق ولا نقمة مغبون حاقق بل هو تصوير لواقع مؤلم وهو جهد المقل في نصرة هؤلاء المظلومين .

وإذا كنت قمت بواجب الدفاع عن إخواني المسلمين بأضعف الإيمان وهو القلم فإنني أرى باسم الإسلام والانسانية أن تقوم الشعوب والحكومات الاسلامية بواجبها بنطاق أوسع

وفي ميادين أنفع وإني أقترح بهذا الصدد ما يلي :

١ - أن تتدخل الحكومات الاسلامية لدى الحكومات الشيوعية ، التي تدعي صداقتها لرفع الضيم والظلم عن المسلمين ، ولكي يمكن تبرير هذا التدخل أقترح أن تكتب الحكومات الاسلامية إلى موظفيها الدبلوماسيين أن يوافقوها بتقارير مفصلة ومدعمة بالأرقام والوقائع عن حالات معينة حتى لا يستطيع الشيوعيون إنكارها لأن أقوى سلاح في أيدي الشيوعيين هو الكذب والإنكار .

٢ - أن ترسل الحكومات الاسلامية القوية مندوبين عنها يعيشون في البلاد الشيوعية لدراسة أحوال المسلمين عن كثب وبطرق علمية وعرض هذه الأمور على العالم كله في نشرات بلغات كثيرة .

٣ - القيام بحملة مركرة في الصحف والمجلات والكتب والنشرات والخطب والمجتمعات لمطالبة الشيوعيين بكف أذايم عن المسلمين .

٤ - أن يذهب وفد من العلماء بثياهم العلمية وعمائهم يطوف البلاد الشيوعية ويجمع بالمسلمين فيها ليستمع إلى شكاواهم وليثبت إيمانهم .

٥ - القيام بحملة في البلاد العربية والاسلامية غير الشيوعية

لإيضاح هذه الحقائق المؤلمة المخزية التي يرتكبها الشيوعيون
بحق الانسانية وبحق المسلمين .

إن المسلمين في خطر وإن أخطر ما هم فيه غفلتهم وإن
المؤامرة الكبرى التي يتعرضون لها مؤامرة خطيرة ومنظمة
ويتولاها أعداء أشرار من الصواب ألا يستهان بهم وبقدرتهم
وإمكاناتهم على الأذى والظلم والإساءة إلى الإنسانية .



فهرس

الموضوع	الصحيفة
مقدمة	٥
المسلمون في البلاد الشيوعية	١٩
بلغاريا	٢١
بدء الرحلة	٢٧
رومانيا	٤٥
المجر	٥٥
تشيكوسلوفاكيا	٦١
يوغوسلافيا	٦٣
الاتحاد السوفييتي	٧٩
بلاد مجهولة	١٠١
الخاتمة	١٠٥
فهرس	١١١